الاستشراف القرآني
"سورة المسد: نموذجاً للدروس المستقبلية"

إعداد

د. محمود حسني عبد الوهاب إبراهيم

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة

mahmoudhosny953@gmail.com

الملخص:

إن فهم الاستشراف القرآني ليس فقط أداة لفهم النصوص الدينية، بل هو منهج حياة يُعزز من القدرة على التفكير والتخطيط السليم،مما يساعد الأفراد والمجتمعات على تحقيق النجاح والازدهار في عالم متغير، مما يسهم في بناء مجتمع متماسك وقوي قادر على مواجهة التحديات، ونحن نتحدث عن علم استشراف المستقبل لا بد من التأكيد علي أننا نستشرف المستقبل ونتطلع إليه من منظور القرآن الكريم، وبتوجيه مباشر منه، فالقرآن الكريم يزخر بالآيات الكريمات التي توجه المسلم إلي ضرورة استشراف المستقبل، والإعداد له، والعمل علي تحقيقه بالصورة التي أرادها الله، ولا أدل على ذلك مما ورد في سورة المسد ، ففيها إخبارٌ من الله تعالى أن عمَّ النبي صلى الله عليه وسلم أبا لهب سيموت على الكفر ولن يدخل في الإسلام، وهو أمر غيبي أوحاه الله لنبيِّه عليه الصلاة والسلام، وكان بإمكان أبي لهب أن يعلن إسلامه ليكذِّب هذا الخبر ولو في الظاهر لكنه لم يفعل، وبثلاثة وعشرين كلمة،يعلن المولي عز وجل غضبه عليه، وعلى امرأته، وهما ما زالا على قيد الحياة، وفي هذا البحث نتوقف أمام عظمة تلك السورة الكريمة؛ وهي تعرض لنمط من أنماط المواجهة بين الحق والباطل، وتحكي عاقبة الباطل الوخيمة، وتكشف عن انتصار الحق وأهله في نهاية المطاف.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا،من يهده الله فلا مضلا له ومن يضلل فلا هاد له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله... ثم أما بعد

في عصرنا هذا أصبح استقراء الوقائع علما قائما بذاته،تقنّن له القوانين وتقعّد له القواعد،ومن خلال تلك القوانين والقواعد تُستطلع الآراء،وتُستبان عزائم الأفعال،وتُحلّل مكنونات النفوس الفردية والجماعية،واستشراف المستقبل يحتاج لنفاذ بصيرة وبعد نظر وتقدير كل الاحتمالات،والمقصود باستشراف المستقبل في القرآن الكريم هو ذِكر أحداث وأمور غيبية والتنبؤ بحدوثها في المستقبل،وتتم معرفتها بواسطة الوحي، وهي أحداث وأمور ستحدث يقيناً دون أدنى شك،ويستفيد المسلمون من معرفتها مسبقاً من خلال تجنب الوقوع في الأخطاء والمعاصي،والنجاة بأنفسهم من الفتن،وقد جعل الله تعالى تلك الأنباء دليلاً على صدق الرسل والأنبياء وصدق ما جاؤوا به من الحق،لتقوم الحجة على المخالفين،وتطمئن قلوب المؤمنين،فاستشراف المستقبل وفق المنظور الإسلامي يعني من جهة أخرى التعرف على السنن الإلهية وما يترتب عليها من آثار ونتائج،وقد حث الإسلام على النظر والتدبر للتعرف على هذه السنن ليكون المسلم على بصيرة من أمره ولا بد من التنبيه علي أن استشراف المستقبل ينبني على وسائل شرعية بخلاف الكهانة،والتنجيم، وقراءة الكف،والأبراج،وضرب الرمل،والطيرة....وغيرها التي تنبني على أسس جاهلية غير شرعية،فأفضل طريقة لاستشراف المستقبل هي أن تقوم بصناعته بنفسك،ومثل كل القيم الحضارية الحاضرة في القرآن العظيم،فإن من يتدبر النص القرآني يجد أن قيمة استشراف المستقبل تحتل مكانتها بين هداياته؛فقد وردت آيات عديدة تحث على التفكير العملي بالمستقبل القريب والبعيد،أي تحويل الهَمّ العقلي إلى إرادة قلبية، وسنقف إن شاء الله تعالي في هذا البحث عند سورة المسد؛ للنظر والتدبر في مقاصد السورة،لأجل الوقوف علي الماضي والاستفاده منه في المستقبل،فهناك ربط بين سورة المسد والاستشراف القرآني من خلال عدة جوانب رئيسية،منها أن السورة تُبرز عاقبة الكفر والغرور من خلال مصير أبي لهب

وزوجته،كتحذير لكل من يتبع طريق الباطل،وهذا يُعزز مفهوم الاستشراف ،حيث تدعو الناس إلى التفكير في عواقب أفعالهم في الدنيا والآخرة،وهذا يُعد درسًا استشرافيًا يُعلم الأجيال المقبلة،أيضاً السورة دعوة للمؤمنين أن يتأملوا في مصير الكافرين ،مما يسهم في استشراف مستقبلهم الإيماني،وتُظهر كيف أن الإيمان والثبات على الحق هما السبيل للنجاة،وتُظهر الفروق بين المؤمنين والكافرين،مما يساعد على تعزيز الهوية الإسلامية ويساهم في رسم مستقبلٍ واضحٍ للمسلمين،وتدعو إلى التفكر في آيات الله وعبره ،مما يُعزز من أهمية الاستشراف كوسيلة لفهم المستقبل والتخطيط له بناءً على المبادئ الإسلامية،ومن خلال هذه الجوانب،تُعتبر سورة المسد نموذجًا حيًا للاستشراف القرآني ،حيث تُحذر من عواقب الكفر وتُشجع على الالتزام بالإيمان ،مُعززةً بذلك أهمية التفكير في المستقبل والتخطيط له وفقًا لقيم وتعاليم الإسلام.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- إثبات معجزة القرآن الكريم في إخباره عن الأمور المستقبلة ووقوعها كما أخبر بها.

2- التأمل والنظر في مقاصد القرآن الكريم من أجل الوقوف علي الماضي والاستفادة منه في استشراف المستقبل

3- اعتقاد بعض المسلمين أن علم استشراف المستقبل يقدح في العقيدة،لأن فيه ادعاءً لعلم الغيب،وهذا الموضوع يثبت أن هذا الاعتقاد ليس علي إطلاقه، وأنه مع أهميته لم يأخذ حقه من العناية والاهتمام،مما يلفت الانتباه إلي أهمية إلقاء الضوء علي علم استشراف المستقبل،باعتباره لغة العصر الحديث،والذي يتطلب وعياً صحيحاً من قبل أبناء الإسلام،ويواكب جميع التطورات والأحداث الإسلامية، والعمل بإيجابية لجني ما يحمله هذا العلم من منافع جَمَّة،إذا وُجّه وجهة شرعية صحيحة، بعيداً عن الأوهام والخرافات.

4- كون سورة المسد من أوائل القصص القرآني الذي نزل في المرحلة المكية مباشرة بعد البعثة النبوية،وكونها من دلائل النبوة؛ لأنها حكمت على أبي لهب بالموت كافرًا ومات بعد عشر سنين على ذلك، وبينت أن التكبر والثروة في الدنيا ما هما الا خزي وامتهان في الاخرة وأن العمل الصالح هو من ينجي الانسان وليس نسبه.

منهج البحث: لقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمت بالغوص في عمق آيات السورة الكريمة، مستعرضًا آراء العلماء وما أبدوه من أفكار حول استشراف المستقبل من خلالها، كما استندت إلى الأحاديث النبوية التي تتصل بموضوع البحث، ساعيًا لفهم أبعادها وتحديد مفهوم الاستشراف فيها، والهدف من هذا السعي هو استنباط العبر والدروس القيمة التي تضيء لنا الطريق نحو آفاف المستقبل، وتساعدنا في استشراف ما هو قادم بروح من الحكمة والتبصر.

مشكلة البحث: ولا غرابة في تلك الإشكالية،مادام البعض لا يزال يعتقد أن استشراف المستقبل ضرب من ضروب التنجيم وعلم الغيب،بل إن البعض يعتبره نوعا من الكفر لأنه يخالف مشيئة الله عز وجل،وكأن الباحث في المستقبل يمكن أن يغير مجرى الأحداث إذا ما قدر الله تعالى أن تكون على النحو الذي أراده عز وجل،وفي هذا البحث نناقش كيف يمكن أن يتكامل استشراف المستقبل مع العقيدة دون أن يتعارض معها،فالعقيدة أساسًا راسخًا للأفراد والمجتمعات،فهي تقدم إطارًا أخلاقيًا وقيميًا يساعد الأفراد على اتخاذ قرارات مدروسة،فهي تعزز من الإيمان بأن الله هو المدبر لكل شيء،وأن المستقبل بيده، لذلك لا تتعارض العقيدة مع فكرة استشراف المستقبل بل يمكن أن تعززها.

الدراسات السابقة: تعددت الدراسات التي تناولت موضوع الاستشراف،حيث انطلقت كل واحدة منها من زوايا متنوعة، تختلف في تركيزها وعمقها،وقد كان لي شرف الاستفادة من هذه الدراسات الغنية،والتي أدرجتها في فهرس البحث، فذكرت الرسائل والأبحاث التي وقفت عليها،ورغم أنني لم أعثر على دراسة تحمل نفس عنوان بحثي، إلا أنني حرصت على تسليط الضوء على المنهج الشرعي السليم في التعامل مع استشراف المستقبل كما يتجلى في سورة المسد،فالبحث يسعى إلى تقديم رؤية متكاملة تعكس عمق الفكر الإسلامي في هذا المجال، مستنيراً بالنصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة،تحت عنوان: "الاستشراف القرآني سورة المسد: نموذج للدروس المستقبلية"

المقدمة: واشتملت علي أهمية الموضوع وأسباب اختياره،ومنهج البحث،ومشكلة البحث وكذلك الدراسات السابقة.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراف في القرآن الكريم ويشتمل علي ثلاثة مطالب

المطلب الاول: تعريف الاستشراف لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: أهمية فهم الاستشراف القرآني في حياتنا المعاصرة:

المطلب الثالث: استشراف المستقبل وعلاقته بالإيمان بالقضاء القدر وسنن الله الكونية

المبحث الثاني: دراسة استشراف المستقبل من خلال آيات سورة المسد، ويشتمل علي أربعة مطالب:

المطلب الأول: توطئة بين يدي السورة الكريمة

المطلب الثاني: خسارة أبي لهب: نموذج الغرور وعواقبه.

المطلب الثالث: المال والجاه: هل ينقذان من الهلاك.

المطلب الرابع: امرأة أبي لهب: دورها في الكفر وعاقبتها في الآخرة.

الخاتمة، وفهرس الموضوعات والمراجع.

التمهيد

إن فهم الاستشراف القرآني ليس فقط أداة لفهم النصوص الدينية،بل هو منهج حياة يُعزز من القدرة على التفكير والتخطيط السليم،مما يساعد الأفراد والمجتمعات على تحقيق النجاح والازدهار في عالم متغير،مما يسهم في بناء مجتمع متماسك وقوي قادر على مواجهة التحديات،ونحن نتحدث عن علم استشراف المستقبل لا بد من التأكيد علي أننا نستشرف المستقبل ونتطلع إليه من منظور القرآن الكريم،وبتوجيه مباشر منه، فالقرآن الكريم يزخر بالآيات الكريمات التي توجه المسلم إلي ضرورة استشراف المستقبل،والإعداد له،والعمل علي تحقيقه بالصورة التي أرادها الله،ولا أدل على ذلك مما ورد في سورة المسد ،ففيها إخبارٌ من الله تعالى أن عمَّ النبي صلى الله عليه وسلم أبا لهب سيموت على الكفر ولن يدخل في الإسلام،وهو أمر غيبي أوحاه الله لنبيِّه عليه الصلاة والسلام، وكان بإمكان أبي لهب أن يعلن إسلامه ليكذِّب هذا الخبر ولو في الظاهر لكنه لم يفعل،وبثلاثة وعشرين كلمة،يعلن المولي عز وجل غضبه عليه،وعلى امرأته،وهما ما زالا على قيد الحياة،وفي هذا البحث نتوقف أمام عظمة تلك السورة الكريمة؛وهي تعرض لنمط من أنماط المواجهة بين الحق والباطل،وتحكي عاقبة الباطل الوخيمة،وتكشف عن انتصار الحق وأهله في نهاية المطاف.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراف في القرآن الكريم ويشتمل علي ثلاثة مطالب

المطلب الاول: تعريف الاستشراف لغة واصطلاحا

الاستشراف لغة: مأخوذ من الفعل الثلاثي"شَرَفَ"الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ،فَالشَّرَفُ:الْعُلُوُّ،وَالشَّرِيفُ:الرَّجُلُ الْعَالِي،وَرَجُلٌ شَرِيفٌ مِنْ قَوْمٍ أَشْرَافٍ،يُقَالُ إِنَّهُ جَمْعٌ نَادِرٌ ،كَحَبِيبٍ وَأَحْبَابٍ،وَيُقَالُ:اسْتَشْرَفْتُ الشَّيْءَ،إِذَا رَفَعْتَ بَصَرَكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ،وَيُقَالُ لِلْأُنُوفِ: الْأَشْرَافُ،وَالْمَشْرَفُ:الْمَكَانُ تُشْرِفُ عَلَيْهِ وَتَعْلُوهُ،وَمَشَارِفُ الْأَرْضِ:أَعَالِيهَا،وَيُقَالُ إِنَّ الشُّرْفَةَ: خِيَارُ الْمَالِ،وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الشُّرْفَةِ الَّتِي تُشَرَّفُ بِهَا الْقُصُورُ ،وَالْجَمْعُ شُرَفٌ،وَالْمُسْتَشْرِفُ مِنَ الْخَيْلِ:الْعَظِيمُ الطَّوِيلُ(1)،والاشتِرافُ:الانتصابُ،وفرسٌ

(1)مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،أبو الحسين(ت/395هـ)،(263/3) =

مشترف،أي مشرف الخلق، واستشرفت الشئ،إذا رفعت بصرك تنظر إليه وبسطتَ كفَّك فوق حاجبك ،كالذي يستظل من الشمس(1)،والاستشراف:مصدر استشرف الشيء رفع بصره إليه،وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس حَتَّى يُبْصِرَه ويَسْتَبِينَه؛واستشرفت الشيء إذا رفعت رأسك أو بصرك تنظر إليه،وأَصله مِنَ الشَّرَف العُلُوّ كأَنه يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ مُرْتَفِع فَيَكُونُ أَكثر لإِدراكه، ويقال:أشرفت الشيء علوته،وأشرفت عليه اطلعت عليه من فوق(2)،وسماه ابن خلدون بـ"التشوف" فيقول "إن من خواص النفوس البشرية التشوف إلي عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر،سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها،والتطلع إلي هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها،ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون للوقوف علي ذلك في المنام،والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة(3)،فالاستشراف يحمل في مضمونه اللغوي معاني النظر إلى المستقبل والتطلع إليه،مع محاولة التعرف على ما قد يحدث واتخاذ خطوات لتحقيق أهداف محددة،فهو عملية توقع الأحداث المستقبلية بناءً على معطيات الحاضر والتحديات التي تواجهها،وهو مفهوم مرتبط بطبيعة البشر في التعرف على عواقب الأمور.

الاستشراف اصطلاحاً: سلوك يتطلب معرفة ومهارة،ويستلزم عزيمة وإرادة ويهدف إلي جلب خير أو دفع ضر عبر أنشطة ذهنية معينة(4)،وقيل:هو إمعان النظر،مأخوذ من

ت/عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،عام النشر1399هـ،1979م.

(1)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت/393هـ)، (1380/4)،ت/ أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، بيروت،ط1407،4هـ،1987م

(2)لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل،جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت/711هـ)،(171/9،172)،دار صادر،بيروت،الطبعة الثالثة،1414هـ

(3)مقدمة ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد بن خلدون،(ص183)،دار الكتب العلمية،بيروت،2000م ،ط8

(4)أهمية استشراف المستقبل وضوابطه،د/محمد البشير،(ص42)،دبي،2011م.

الشرف ،وهو المكان المرتفع،فإن من أراد أن يطلع علي شيء أشرف عليه(1)،وقيل: المشرف والمستشرف علي الشيء:المتطلع إليه الطامع فيه،وهو بمعني التأمل من الاستشراف كالاستكشاف(2)،فالاستشراف هو التطلع بالنظر والتدبر في آياته،ليتوصل المسلم إلي ما يشرف به ويتحقق مقصده من الربط بين جميع تعاليمه ومعرفة مناسباته وتطبيق أحكامه ،ليفوز بالسعادة الآجلة والعاجلة.

المطلب الثاني: أهمية فهم الاستشراف القرآني في حياتنا المعاصرة:

إن العناية بدراسة استشراف المستقبل لها أهمية كبري في مستقبل حياة الناس وذلك لما فيها من الاستعداد والتهيؤ لما يطرأ علي حياتهم من أحداث ومستجدات.

وغياب استشراف المستقبل في حياة الناس عموماً يؤدي إلي كثير من التخبط والعشوائية في المواقف وتقدير الخطوات،وذلك بسبب الغموض الذي يسيطر علي مستقبلهم وطموحاتهم، وهناك تصورات خاطئة لبعض المفاهيم الشرعية تزهد البعض في الانطلاق والتخطيط والتفكير في المستقبل،فيعيش حياته خاملاً لا يفكر في أبعد من قدميه، واستشراف المستقبل والتخطيط له أصبح في عالم اليوم من الضروريات لأن العالم لا يستمد قوته من إمكانياته المتوفرة لديه، ولكنه يستمد قوته بالدرجة الأولى من قوة استشرافه للمستقبل والتخطيط له،وبعد النظر ،واستحضار النظرة المستقبلية للأمور ،وكذلك النفوس البشرية من خواصها التشوُّف إلى عواقب أمورهم،وعلم ما يحدث لهم من حياة وموتٍ وخيرٍ وشر ،سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا،ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها ،والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها(3)،

(1)تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي،(399/1) ،ت/لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب،وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية بالكويت،2012،1443

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين جمال الدين أبوالفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي ،(49/1)،ت/علي حسين البواب،دار الوطن،الرياض،شرح مصابيح السنة للإمام البغوي محمد بن عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز الرومي الكرماني،والحنفي المشهور بـ ابن المَلَك،(266/2)،ت،ودراسة / لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب ،إدارة الثقافة الإسلامية،ط1433،1هـ،2012م

(3)القيامة الصغرى عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي،(ص133)،دار النفائس للنشر والتوزيع ،الأردن،مكتبة الفلاح،الكويت،ط1411،4هـ،1991م.

وفي استشرافنا للمستقبل من منظور القرآن الكريم نقدم خدمة للإنسانية هي اليوم في أمس الحاجة إليها،وهي في ما يُري ويُشاهد متعطشة للخروج من المأزق والمشكلات التي تفتك بها وتطيح بمقدراتها،عوضاً عن أننا نقوم بواجبنا ونؤدي رسالة نبينا التي استأمننا عليها، والمسلّم به أن المسلم بما يتميز به من حمله للقرآن الكريم كمصدر أساسي من مصادر معرفته أقدر الناس بهذا القرآن علي رسم تصورات المستقبل،فمنهج القرآن الكريم يربط ماضي البشرية بحاضرها،وحاضرها بماضيها، ويشير من خلال ذلك كله إلي مستقبلها ،هولاء العرب الذين وجه إليهم القول أول مرة لم تكن حياتهم ومعارفهم وتجاربهم قبل الإسلام لتسمح لهم بمثل هذه النظرة الشاملة لولا هذا الإسلام(1).

ويكون استشراف المستقبل من خلال دراسة الواقع وربط أحداثه بما يليه وما يترتب عليه، وبالتالي صياغة فهم يتناسب ومتطلبات الحياة،وإذا رجعنا إلى السيرة النبوية،والتاريخ الإسلامي نجد فيهما مادة دسمة مهمة في الاستشراف المستقبلي،من خلال أخبار وحقائق ومبشرات، يمكن من خلالها الإسهام في البناء الإيجابي،والإصلاح البناء،ومواجهة التحديات التي قد تعصف بالأمة،بعيدا عن العشوائية والارتجال وعدم تقدير الأمور حق قدرها،فالآيات الأحاديث النبوية نصّت وطلبت من المسلمين العمل علي الاهتمام بمستقبلهم الدنيوي،وصياغته وفق أوامر الله وإرادته،لكسب مستقبل دنيوي آمن وسعيد ،ونحن بالنظر إلي هذا وذاك مأمورون أن نُحكم العدّة ونُتقن التطلع،ونتفنن في امتلاك أدوات الاستشراف التي تعين علي جلاء الصورة ووضوح الطريق،وفق شرع الله وما ينشد من خير للبشرية،وبذلك يكون استشراف المستقبل في حدود ما أمر الله به وما يخدم الإنسانية ولأن الاستشراف مضبوط بوازع ديني وأخلاقي يرجى منه الخير والنفع العام(2).

(1)استشراف المستقبل من منظور اسلامي،خضر إبراهيم أسعد قزق،(ص21،22).
(2)استشراف المستقبل في الإسلام بين الطرق المشروعة والطرق الممنوعة،سيف الدين شاعة(ص32)

فالاستشراف في القرآن الكريم هو التطلع بالنظر والتدبر في آياته ،ليتوصل المسلم إلي ما يشرف به ويتحقق مقصده من الربط بين جميع تعاليمه ومعرفة مناسباته وتطبيق أحكامه ويهدف الاستشراف المستقبلي إلي تهيئة أفضل الظروف والإمكانيات للإنسان التي يتطلع إلى تحقيقها للوصول إلي مستقبل مزهر ومأمول،وتجنبه الصدمات التي قد تواجهه وهو غير مستعد لتلقيها(1).

ومن الضروري أن نفرق بين الدراسات المستقبلية والدراسات الاستراتيجية من جهة،وبين استشراف المستقبل من منظور القرآن من جهة ثانية، فالدراسات المستقبلية كما يعرفها علماؤها بأنها معنية بدراسة التغير في ظاهرة ما،وبالتالي السعي إلي تحديد مجموعة من الاحتمالات في المستقبل،وترجيح احتمال بعينه،فيما تعني الدراسات الاستراتيجية بتحديد هدف معين،ثم البحث عن أدوات الوصول إليه،وأما ما يميز الاستشراف الإسلامي فهو تجاوزه ذلك كله بعد الاستفادة من أدواته وتوظيفها في خدمة هدفه،وأنه مستند إلي مصدر موثوق وأدلته يقينية وليس للتخرصات إليها سبيل،لأنها مستمدة من كتاب الله العزيز الحميد،فالعالم الإسلامي مدعو بكل قوة أن يراجع حساباته في تعامله مع علوم استشراف المستقبل،فهو الأقدر إن أراد وخطط علي الاستفادة من هذا العلم،لأنه الأكثر امتلاكاً لأدوات الاستشراف من غيره،كيف لا وهو ينهل من معين القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد(2).

فالاستشراف يستمد مشروعيته من القرآن الكريم،والسنة النبوية الشريفة التى وثقت أحداثا مستقبلية مثل زوال ملك كسرى،فَقَوْلُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ" كَأَنِّي بِكَ قَدْ لَبِسْتَ سُوَارَيْ كِسْرَى"بِشَارَةً بِأَنَّ سِوَارَيْ كِسْرَى سَيَقَعَانِ بِيَدِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ،فَلَمَّا أُتِيَ بِسِوَارَيْ كِسْرَى فِي غَنَائِمِ فتح فَارس ألبسهما عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ تَحْقِيقًا لِمُعْجِزَةِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(3)،ففي هذا الموقف العصيب يبشرهم النبي

(1) الاستشراف المستقبلي في القرآن محمود أحمد عبدالسلام(ص26)،الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام أباد،باكستان،2003م

(2)استشراف المستقبل من منظور اسلامي،خضر إبراهيم أسعد قزق،(ص16،17).

(3)تحرير المعنى السديد وتنويرالعقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت/1393هـ)(107/5)،الدار التونسية،تونس،سنة1984هـ ،**تخريج** =

عليه الصلاة والسلام بأن ملك كسرى وقيصر سيئول إلى المسلمين(1)،وهذه لفتة منه صلى الله عليه وسلم بأن المسلمين سيفتحون بلاد فارس،ويغنمون أموال كسرى،ومنها سواريه،وقد تحقق هذا الاستشراف في زمن الخليفة عمر رضي الله عنه حين قضى على مُلك كسرى، فلما أتت الغنائم وفيها أساور كسرى،دعا عمر رضي الله عنه سُراقة بن مالك رضي الله عنه فألبسهما أياه،وكذلك استشراف الرسول صلي الله عليه وسلم للمستقبل في أوقات عدة أثناء تبليغه للرسالة الإسلامية،ففي وقت كان يخوض فيه المسلمون معارك عنيفة مع المشركين لإعطاء الأمل للمسلمين للوصول إلي الهدف وبناء المجتمع علي أسس متينة،ولذلك صار استشراف المستقبل سنة حسنة لمن بعده في ضوء التجارب للوصول إلي أفضل السبل في بناء الدولة الإسلامية في مجالات شتي مع التوكل علي الله بعيداً عن الشعوذة والكهانة،وكما اشتهر من الأنبياء بمعرفة واستشراف المستقبل سيدنا عيسي ابن مريم عليه السلام الذي كان يخبر قومه بما لا يعلمون من شؤون المستقبل كجزء من الرسالة السماوية التي جاء بها(2).

وقد عبر القرآن الكريم بوضوح عن خاصية التنبؤ التي قام بها عليه السلام لقومه "وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"آل عمران 49،وكذلك نبي الله موسي عليه السلام حينما نصح النبي صلي الله عليه وسلم أن يرجع إلي ربه ويسأله التخفيف في مسألة الصلاة ، ولأنه قد جرب قومه فلم يقدروا عليه، فالتجربة لها مكانة في استشراف المستقبل،فقد أورد البخاري في صحيحه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال".... ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ

الحديث السنن الكبرى أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني،أبو بكرالبيهقي(ت/458هـ) (581/6)ت/ محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنات،ط3 1424هـ ،2003م.

(1) شرح صحيح مسلم ،حسن أبو الأشبال(7/97).

(2)الدراسات الاستشرافية النماذج والتقنيات،عامر مصباح،(ص88)،المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية2016،نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية،د/حاتم فزع شنيتر ،(ص389)

يَوْمٍ،فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى،فَقَالَ:بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ:أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ،قَالَ:إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ،وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ،وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ،فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ،فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ،فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ،فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ،فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ:بِمَ أُمِرْتَ؟قُلْتُ:أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،قَالَ:إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ،فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ،قَالَ:سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ،وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ،قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ:أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي،وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي"(1)،وكذلك قد روي عن الخلفاء الراشدين تطبيقات عملية لاستشراف المستقبل في أقوالهم وأفعالهم،في دينهم ودنياهم،فالقرآن هو المصدر الاول للتشريع،ولذلك اهتم الخلفاء الراشدون بهذا المصدر اهتماماً كبيراً،واستشرفوا واقعه المستقبلي ،فقاموا بكتابته في المصحف،وذلك خشية التحريف والتبديل والتغير والضياع،ولذا قاموا بجمع القرآن الكريم، وذلك عندما استحر القتل يوم اليمامة بحفظة القرآن من الصحابة، فقد أمر الصديق زيد بن ثابت بجمع القرآن"فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ،قَالَ:بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ "إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ:إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا،فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ،وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ"،قُلْتُ:"كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟،فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ،فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ

(1)تخريج الحديث الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(54/5)ح رقم3887بَابُ المعراج،ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة،مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،ط1/ 1422هـ

عُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ،قَالَ زَيْدٌ:قَالَ أَبُو بَكْرٍ"وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ،لاَ نَتَّهِمُكَ قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ،فَاجْمَعْهُ"،قَالَ زَيْدٌ:فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ بِأَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا كَلَّفَنِي مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ:كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ:"هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ"،فَلَمْ يَزَلْ يَحُثُّ مُرَاجَعَتِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ،وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَيَا"(1)، فموقف سيدنا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في جمع القرآن وحفظه في الصحف،يُعد استشرافاً مستقبلياً،ونظراً استصلاحياً،قصدوا منه حفظ الدين في المقام الأول، بحفظ المصدر الأول للتشريع، جلباً للمصلحة والخير،ودفعاً للمفسدة والشر الذي قد يُعرض كتاب الله للزوال أو التحريف، أو التغيير بالزيادة فيه والنقصان.

ونجد في ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْقُرْآنِ تَقْرِيبًا قَصَصٌ،وَتَوْجِيهٌ لِلْأَنْظَارِ إِلَى الِاعْتِبَارِ بِأَحْوَالِ الْأُمَمِ،فِي كُفْرِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ،وَشَقَاوَتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ،وَلَا شَيْءَ يَهْدِي الْإِنْسَانَ كَالْمُثُلَاتِ وَالْوَقَائِعِ،فَإِذَا امْتَثَلْنَا الْأَمْرَ وَالْإِرْشَادَ،وَنَظَرْنَا فِي أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ،وَأَسْبَابِ عِلْمِهِمْ وَجَهْلِهِمْ،وَقُوَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ،وَعِزِّهِمْ وَذُلِّهِمْ،وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْرِضُ لِلْأُمَمِ،كَانَ لِهَذَا النَّظَرِ أَثَرٌ فِي نُفُوسِنَا يَحْمِلُنَا عَلَى حُسْنِ الْأُسْوَةِ وَالِاقْتِدَاءِ بِأَخْيَارِ تِلْكَ الْأُمَمِ فِيمَا كَانَ سَبَبَ السَّعَادَةِ وَالتَّمَكُّنِ فِي الْأَرْضِ،وَاجْتِنَابِ مَا كَانَ سَبَبَ الشَّقَاوَةِ أَوِ الْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ،وَمِنْ هُنَا يَنْجَلِي لِلْعَاقِلِ شَأْنُ عِلْمِ التَّارِيخِ واستشراف المستقبل،وَمَا فِيهِما مِنَ الْفَوَائِدِ وَالثَّمَرَاتِ،وَكَيْفَ لَا يُدْهَشُ وَيَحَارُ،وَالْقُرْآنُ يُنَادِي بِأَنَّ مَعْرِفَةَ أَحْوَالِ الْأُمَمِ مِنْ أَهَمِّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ هَذَا الدِّينُ؟(2).

إن فهم الاستشراف القرآني له أهمية كبيرة في حياتنا المعاصرة، فهو يقدم إطارًا واضحًا للقيم والمبادئ التي يجب أن يتبناها الأفراد والمجتمعات،ويساعد في توجيه السلوكيات

(1)عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم(أصل الكتاب رسالة دكتوراه)،ناصر بن علي عائض حسن الشيخ،(1062/3)،مكتبة الرشد،الرياض،السعودية،ط3، 142هـ/2000م.

(2)تفسير القرآن الحكيم محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني(ت/135هـ)(56/1)،الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة النشر 1990م

نحو ما يُرضي الله ويضمن سلامة الفرد والمجتمع،وكما يعزز فهم الاستشراف من قدرة الأفراد والمجتمعات على التخطيط للمستقبل،من خلال التعلم من تجارب الماضي وقراءة الدروس المستفادة من النصوص القرآنية،كما يُنبه الاستشراف القرآني الناس إلى مخاطر الباطل والفتن التي قد تواجههم في حياتهم،مما يعينهم على اتخاذ قرارات صائبة تجنبهم الانزلاق في المعاصي، وأيضاً يوفر الاستشراف القرآني للمؤمنين قوة الصمود والثبات أمام التحديات، من خلال التأكيد على أهمية الإيمان والثقة في وعد الله بنصر الحق.

المطلب الثالث: استشراف المستقبل وعلاقته بالإيمان بالقضاء القدر وسنن الله الكونية

في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة،تتجلى إشارات واضحة تدعو إلى التحقق من العواقب المستقبلية للأفعال،مما يبرز أهمية التخطيط والتنظيم في حياة المسلم،إن هذا التأمل العميق يكشف عن الدور المحوري للرؤية المستقبلية كجزء لا يتجزأ من فلسفة الإسلام، مشجعًا على العمل القائم على وعي وبدراسة متأنية.

ولا بد وأن نعلم أن استشراف المستقبل اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب إلا فيما أخبر عنه سبحانه وتعالي في كتابه الكريم أو ما روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم،ولذلك حث القرآن الكريم المستشرف للمستقبل أن يستخير الله لأنه لا يعلم الغيب إلا الله قال تعالي"وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍإِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا"الكهف32(1).

فقد وردت آيات صريحة في القرآن الكريم تتحدث عن أخبار مستقبلية وتجزم بأحداث قادمة، وقد وقعت تلك الأخبار كما أخبر القرآن،الأمر الذي يدل على مصدر هذا الكتاب الرباني،ولقد تحققت هذه الأخبار المستقبلية،وسجل لنا القرآن الكريم الكثير من الأحداث التي أخبر أنها ستقع في المنظور القريب من وقت نزوله،وقد وقعت تماماً وفق ما أخبر المولي عز وجل، وسجل لنا من الأحداث التي ستقع علي المدي

(1)استشراف المستقبل في الإسلام بين الطرق المشروعة والطرق الممنوعة،سيف الدين شاعة(ص31) ،جامعة ابن خلدون،الجزائر ،مجلة الإبراهيمي للأداب والعلوم الإنسانية،المجلد رقم6،العدد2،نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية،د/حاتم فزع شنير (ص391)،كلية الآداب ،الجامعة العراقية،مجلة مداد الآداب،العدد الخامس.

البعيد،والشريعة الإسلامية قد اعتنت بالمستقبل عناية خاصة،لأنه هو الزمن الحقيقي الذي تبدأ منه الحياة الحقيقية،وأما الماضي والحاضر فيخدمان هذا الزمن،وهما بمثابة اختبار يُحدد مكانه صاحبه فيما بعد، فقد أَطْلَقَ القرآن الكريم لفظ "غَدٍ" عَلَى الزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ مَجَازًا لِتَقْرِيبِ الزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْبَعِيدِ،لِمُلَازَمَةِ اقْتِرَابِ الزَّمَنِ لِمَفْهُومِ الْغَدِ،لِأَنَّ الْغَدَ هُوَ الْيَوْمَ الْمُوَالِي لِلْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَقْرَبُ أَزْمِنَةِ الْمُسْتَقْبَلِ،وَهَذَا الْمَجَازُ شَائِعٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي لَفْظِ"غَدٍ"قال تعالي"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ"الحشر 18(1).

والإسلام يحثّ علي إعمال العقل والأخذ بالأسباب في سبيل تحقيق النفع والمصلحة العامة، ويحرص علي تربية الفرد والمجتمع علي العناية بمستقبله عناية لا تقل عن عنايته بحاضره، ولأن الله عز وجل لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم،وهذا الهدف قد يتحقق علي أيدينا أو أيدي من بعدنا،المهم أن يكون خط السير إليه واضح،ولا بد وأن يكون استشراف المستقبل قائماً علي المنهج الإسلامي وعلي الأسس الدينية والثوابت العقدية،وكما أن البحث في أمور المستقبل بالنسبة للمسلم لم يأت من فراغ،بل له أصول ثابتة في العقيدة الإسلامية التي جاءت شاملة مستوفية لجميع حاجات النفس البشرية،والتي منها التطلع لأمر المستقبل والتشوق لمعرفة أحداثه،فتتجلي العلاقة بين خوف الله والتطلع للمستقبل في أن الناس بطبيعتهم يخافون المجهول،وهذا الخوف إذا انطلق من قلب مؤمن يخاف الله فسيكون خوفاً طبيعياً يحث صاحبه علي العمل ورسم المستقبل وفق ما شرعه الله تعالي،أما إذا انطلق من قلب لايخاف الله تعالي ولا يخشي عقابه فسيكون خوفاً مذموماً يَجرُ صاحبه إلي المهالك،فإن خوف الله يوقظ في قلب المؤمن عظمة الخالق سبحانه وكمال قدرته،وهو أن خلقه من دونه، مما يورث الاطمئنان والسكون لما سيصيب المؤمن في المستقبل، فالمؤمن المحب عند تظلّعه

(1)تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت/1393هـ)(111/28)،الدار التونسية للنشر،تونس،سنة 198هـ،الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت/671هـ)،(43/18)،ت/أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية،ط1384،2هـ، 1964م

لمستقبله يعلم أن الله قد عاهد بأن من أحبه تعالي وتقرب إليه بمحبوباته أعطاه ما يسأله ويرجوه،وأمنّه مما يخافه ويخشاه فهذه العقيدة تربي في نفس المؤمن الحرص علي التقرب لله تعالي، والتودد إليه بالعمل الصالح والسعي لنيل مرضاته تعالي(1).

ولا بد من موافقة الاستشراف لما في الكتاب والسنة الصحيحة،والاعتقاد بأن مشيئة الله نافذة، فهو الذي بيده الأمر كله ماضيه وحاضره ومستقبله،ولا راد لحكمه ولا معقب لقضائه قال تعالي "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"الإنسان30،أَيْ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِيَ نَفْسَهُ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ وَلَا يُجْرِ لِنَفْسِهِ نَفْعًا "إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً"عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ فَيُيَسِّرُهَا لَهُ وَيُقَيِّضُ لَهُ أَسْبَابَهَا،وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ أَيْ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى،وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ،وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ،وَلِهَذَا قَالَ"إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً"(2)،وقول الرسول الكريم كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ،وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ،وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ ،مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ،وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ(3).

ولذلك من المفاهيم المغلوطة أن البحث في المستقبل فيه اعتداء ومخالفة لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر،فطالما زلت أقدام واختلطت أفهام بسبب قصور الإدراك للعلاقة بين القدر والسبب والتي من صورها العلاقة بين القدر واستشراف المستقبل،فنحن مطالبون شرعاً ببذل السبب،ومدافعة القدر بالقدر فكما أن المرض قدر ندفعه بالدواء،وهو أيضاً قدر من أقدار الله،ويدل علي ذلك حديث النبي صلي الله عليه وسلم حين سألوه يا رسول الله أريت أدوية نتداوي بها،ورقي نسترقي بها،وتقي نتقيها هل ترد

(1)مفهوم استشراف المستقبل رسالة استشراف المستقبل دراسة عقدية،رسالة ماجستير،عداد/ريم بنت إبراهيم الخضير(ص29،59)،جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية،كلية أصول الدين1435،1434

(2) مختصر تفسير ابن كثير(اختصاروتحقيق) محمد علي الصابوني(585/2)،دار القرآن الكريم، بيروت ،لبنان،ط7، 1402هـ،1981م

(3)سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي،أبو عيسى (ت/279هـ) ،(172/5)،ت/ أحمد محمد شاكر(جـ2،1)،ومحمد فؤاد عبد الباقي(جـ3)،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف(ج5،4)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر،ط1395،2هـ ،1975م

من قدر الله شيئاً فقال صلي الله عليه وسلم"هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ"أي إن مدافعة القدر هو نفسه من الله تعالي(1)،وأيضاً من المفاهيم المغلوطة أن بعض الأوساط من المسلمين يعتبرون أن الإيمان بالقضاء والقدر سببا عائقا لانطلاق الإنسان نحو مستقبل أحسن،وهناك من يظن أن ذم الشرع لطول الأمل يعني القعود والتقاعس عن التطلع إلى مستقبل مرجو مشرق،وآخر من يتوهم أن التوكل هو انطراح سلبي بين يدي الأسباب دون التفاعل الإيجابي معها،في حين أن الإيمان الصحيح بهذه القضايا كلها إنما هو دفع قوي وتوجه كامل نحو العمل من أجل المستقبل وتنظيم دقيق للفكر من أجل التركيز على ما ينفع الإنسان في مستقبله(2)، وأيضاً لابد من الإشارة هنا أنه ليس المراد باستشراف المستقبل علم الغيب،فلا نخوض فيه ولا ندعيه، فهو لله عز وجل وحده "قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ"النمل 65، فاستشراف المستقبل عملية منظمة تستند علي أسس ولا تتخرص بالغيب، يعني أنها لا تخضع للتنبؤات أو العواطف، فهي عملية منظمة تسير بمنطق واضح،يبدأ من دراسة الماضي وسنن الله تعالي التي جرت فيها لتمتد إلي الحاضر المعاش(3)، فلا بُد من موافقة الاستشراف لما في الكتاب والسنة الصحيحة،والاعتقاد بأن مشيئة الله نافذة،فهو الذي بيده الأمر كله ماضيه وحاضره ومستقبله،ولا راد لحكمه ولا معقب لقضائه قال تعالي"وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"الإنسان30،أَيْ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِيَ نَفْسَهُ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ وَلَا يُجْرِ لِنَفْسِهِ

(1)مفهوم استشراف المستقبل رسالة استشراف المستقبل دراسة عقدية ،عداد/ريم بنت إبراهيم الخضير ،(ص121)،،وتخريج الحديث: سنن الترمذي ت شاكر(399/4)،سنن ابن ماجة ،وماجة اسم أبيه يزيد ،أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت/273 هـ)،(116/5)، بشار عواد معروف،دار الجيل،ط1 1418هـ،1998م وقال هذا هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، والمستدرك على الصحيحين أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت/405 ه)،(128/8)،كتاب الطب،دارالتأصيل،ط الاولي،2014،1435م.

(2)استشراف المستقبل في القرآن والسنة،فهمي اسلام جيوانتو،(ص5)،رسالة ماجستير في اللغة العربية، كلية الشريعة والقانون ،جامعة الايمان،اليمن،2004م

(3)استشراف المستقبل من منظور اسلامي،خضر إبراهيم أسعد قزق(ص5)ماجستير2008م،د/ أحمد نوفل الجامعة الاردنية،كلية الدراسات الفقهية والقانونية،جامعة آل البيت ،قسم اصول الدين،فرع التفسير

نَفْعًا "إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً"عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ فَيُيَسِّرُهَا لَهُ وَيُقَيِّضُ لَهُ أَسْبَابَهَا،وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ أَيْ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ،وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ،وَلِهَذَا قَالَ"إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً"(1)،وقول الرسول الكريم كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ،وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ،وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ ،مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ،وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ(2).

ومن الأحداث المستقبلية التي تدعو لاستشراف المستقبل السنن الكونية التي تستدعي التأمل، فمثلاً سنّة نصر الله للصالحين من عباده وتمكينهم في الأرض وهي سنة إلهية تجري علي الخلق إلي قيام الساعة"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" محمد7، فهذا النداء الذي يحمل أكرم البشارات للمؤمنين،فمهما طال واستحكم الباطل سينتهي وينتصر الحق وهذا وعد الله لرسوله والمؤمنين،وَإِنَّمَا نَصْرُ اللهِ أَنْ يَقْصِدَ بِالْحَرْبِ حِمَايَةَ الْحَقِّ وَتَأْيِيدَهُ وَإِعْلَاءَ كَلِمَتِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَمَثُوبَتِهِ،وَآيَتُهُ مُرَاعَاةُ سُنَنِ اللهِ فِي أَخْذِ أُهْبَتِهِ،وَإِعْدَادِ عُدَّتِهِ، الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا كِتَابُهُ الْعَزِيزُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ" الانفال60، "إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"الانفال4،وَقَدْ بَيَّنَّا غَيْرَ مَرَّةٍ كَوْنَ الْإِيمَانِ نَفْسِهِ مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ، وَأَنَّهُ يَقْتَضِي الِاسْتِعْدَادَ وَأَخْذَ الْحَذَرِ ،وفي إِرْشَادَ اللهِ إِيَّانَا إِلَى أَنَّ لَهُ فِي خَلْقِهِ سُنَنًا يُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ هَذِهِ السُّنَنَ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ الْمُدَوَّنَةِ لِنَسْتَدِيمَ مَا فِيهَا مِنَ الْهِدَايَةِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، فَيَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ فِي مَجْمُوعِهَا أَنْ يَكُونَ فِيهَا قَوْمٌ يُبَيِّنُونَ لَهَا سُنَنَ اللهِ فِي خَلْقِهِ كَمَا فَعَلُوا فِي غَيْرِ هَذَا الْعِلْمِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ بِالْإِجْمَالِ وَقَدْ بَيَّنَهَا الْعُلَمَاءُ بِالتَّفْصِيلِ عَمَلًا بِإِرْشَادِهِ، كَالتَّوْحِيدِ وَالْأُصُولِ وَالْفِقْهِ،وَالْعِلْمُ بِسُنَنِ اللهِ تَعَالَى ،مِنْ أَهَمِّ الْعُلُومِ وَأَنْفَعِهَا،والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة،وقد دلنا

(1) مختصر تفسير ابن كثير (اختصاروتحقيق) محمد علي الصابوني(585/2)،دار القرآن الكريم، بيروت ،لبنان،ط7، 1402هـ،1981م

(2)سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي،أبو عيسى (ت/279هـ) ،(172/5)،ت/ أحمد محمد شاكر (جـ2،1)،ومحمد فؤاد عبد الباقي(جـ3)،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف(ج4،5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر ،ط2،1395هـ ،1975م

علـى مأخـذه مـن أحـوال الأمـم،إذ أمرنـا أن نسـير فـي الأرض لأجـل اجتلائها،ومعرفـة حقيقتهـا"(1)،إذن فالعلاقـة وطيـدة بـين دراسـة السـنن الإلهيـة وعمليـة استشـراف المستقبل،فالمسـتقبل الإسـلامي مرهـون بحسـن التعامـل مـع سـنن الله تعـالى فـي خلقه،ومرهون كذلك في حسن توظيف تلك المعرفة لصالح المشروع المستقبلي للعالم الإسـلامي،وهذا وذاك منـوط بحسـن فهـم آيـات الله تعـالى، وحسـن تـدبرها، وعبقريـة الانطلاق منها إلى صياغة المستقبل الذي نريد ونحب(2)

(1)تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا(378/5ـ 114/4).استشراف المستقبل في الإسلام بين الطرق المشروعة والطرق الممنوعة،سيف الدين شاعة،(ص34)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ا.د/ محمد سيد طنطاوي(266/13)،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة – القاهرة،الطبعة: الأولى

(2)السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل عماد عبد الكريم خصاونة،خضر إبراهيم قزق،(ص220)،المصدر :الشاملة الذهبية

المبحث الثاني:

دراسة استشراف المستقبل من خلال آيات سورة المسد: ويشتمل علي أربعة مطالب.

المطلب الأول: توطئة بين يدي السورة الكريمة.

أولا: التعريف بالسورة: سورة المسد،أواللهب،وسميت بـ"سورة أبي لهب"(1)،وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ،وَعُدَّتِ السَّادِسَةَ مِنَ السُّوَرِ نُزُولًا،نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ التَّكْوِيرِ ،وأما من حيث الترتيب المصحفي فهي السورة الحادية عشرة بعد المائة،ورُوِيَ أَنَّ نُزُولَهَا كَانَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ،وعدد آياتها خمس آيات،وعشرون كلمة،وسبعة وسبعون حرفا،وقيل:عدد كلماتها ثلاث وعشرون كلمة(2)،وسُمِّيَتْ فِي أَكْثَرِ الْمَصَاحِفِ سُورَةَ تَبَّتْ ،وَكَذَلِكَ عَنْوَنَهَا التِّرْمِذِيُّ فِي "جَامِعِهِ"وَفِي أَكْثَرِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ ،تَسْمِيَةً لَهَا بِأَوَّلِ كَلِمَةٍ فِيهَا وَسُمِّيَتْ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ وَبَعض التَّفَاسِيرِسُورَةَ الْمَسَدِ،وَاقْتَصَرَ فِي"الْإِتْقَانِ"عَلَى هَذَيْنِ وَسَمَّاهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ سُورَةَ أَبِي لَهَبٍ عَلَى تَقْدِيرِ: سُورَةِ ذِكْرِ أَبِي لَهَبٍ وَعَنْوَنَهَا أَبُو حَيَّانَ فِي"تَفْسِيرِهِ سُورَةَ اللَّهَبِ وَلَمْ أَرَهُ لِغَيْرِهِ،وَعَنْوَنَهَا ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي"أَحْكَامِ الْقُرْآنِ"سُورَةَ مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ"وَهُوَ عُنْوَانٌ وَلَيْسَ بِاسْمٍ (3)،وسميت بسورة المسد لقوله في آخرها "فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ"أي في عنق أم جميل زوجة أبي لهب حبل مفتول من ليف، وسميت أيضا بسورة تَبَّتْ لقوله في مطلعها"تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ" أي هلكت وخسرت يدا أبي لهب(4)،ولا خلاف بين من قال عدد كلماتها عشرون كلمة وبين من قال ثلاث وعشرون ،فمن عدها عشرين جعل"أَبِي

(1)تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون،آخر سورة السجدة،محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني،أبو بكر(ت/406هـ)،(296/3)،دراسةوت/علال عبد القادر بندويش ماجستير ،جامعة أم القرى،السعودية،ط1/2009،1430م.

(2)التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب(ت/ بعد1390هـ)(1702/16)،دار الفكر العربي،القاهرة

(3)تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"،أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت/710هـ)(691/3)،حققه وخرج أحاديثه/يوسف علي بديوي،راجعه وقدم له،محيي الدين ديب مستو،دار الكلم الطيب،بيروت،ط1،ط،1419هـ،1998م،"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" الطاهر بن عاشور(599/30).

(4)التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،د وهبة بن مصطفى الزحيلي،(453/30)،دار الفكر المعاصر ،دمشق،ط2 ،1418هـ

لَهَبٍ"،"مَا أَغْنَى"،"وَمَا كَسَبَ"،"فِي جِيدِهَا"،"مِنْ مَسَدٍ" كلمة واحدة،ومن عدها ثلاثاً وعشرين لم يقل بذلك،وإنما عد كل لفظ حرفاً أو كلمة على حدة،ولم يدمج أي منها،وقد قمت بعد حروف السورة فوجدتها إحدى وثمانين حرفاً،دون عد المشدد منها، وليست كما قيل بأنها سبع وسبعون حرفاً.

ثانياً: سبب نزول السورة: إنَّ معرفة سبب نزول السورة ينبني عليه معرفة الوجه العام لكون هذه السورة مبنية على أن الجزاء من جنس العمل،وهناك رويات كثيرة تختلف فيها ألفاظها زيادة ونقصاً،وعلي كل حال فإن الروايات مجمعة علي أن أبا لهب قال للنبي صلي الله عليه وسلم "تبًّالك"،والتي تتمحور حولها كون السورة نزلت جزاءا لما قاله أبو لهب،وسأذكر الرواية الصحيحة قطعاً، بل إنه قد يقال فيها :إنها وصلت حد التواتر ولذلك قدمت ذكرها دون الرويات الأخري(1)

،فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ"الشعراء: 214، صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي:"يَا بَنِي فِهْرٍ،يَا بَنِي عَدِيٍّ"- لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ،فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ،فَقَالَ:"أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟" قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ"(2)،ومن اللافت للنظر أن يأتي الدعاء علي أبي لهب بنفس الصيغة التي نطق بها لسانه المشئوم،فالآيات الخمس المباركات نزلت رداً على أبي لهب عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،وسبب نزول السورة وعيد وتهديد لمن يقف فى طريق الدعوة،وتقريرا لوقوع الهلاك

(1)الجزاء من جنس العمل من خلال سورة المسد،د/علي بن عبدالله السكاكر،(ص165)،مجلة تدبر ،البحث الثالث، الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، skakeer@gmail. com البريد الإلكتروني

(2)الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،صحيح البخاري باب وأنذر عشيرتك الاقربين، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(111/6)،ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر ،حديث رقم 4770،دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،الطبعة:الأولى، 1422هـ

الحتمى بمن توعد رسول الله صلّى الله عليه وسلم ظلما وعدوانا،كما تبين أن هذا التحدى قد يكون من أقرب الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم(1).

وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:لَمَّا نَزَلَتْ"وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ" الشعراء214، وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ،خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ"يَا صَبَاحَاهْ" فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟،فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ،فَقَالَ"أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ،أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟"قَالُوا:مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا،قَالَ"فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ،مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ثُمَّ قَامَ،فَنَزَلَتْ"تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ"، وقيل:فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم،ما دعوتنا إلاّ لهذا؟وأخذ حجراً ليرميه به عليه الصلاة والسلام،فنزلت،وقال الامام النووي:وظاهر هذه العبارة"ورهطك منهم المخلصين" الظاهر أن هذا كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته (2)،وَمَعْلُومٌ أَنَّ آيَةَ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ214،وَهِيَ مُتَأَخِّرَةُ النُّزُولِ عَنْ سُورَةِ تَبَّتْ،وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ آيَةً تُشْبِهُ آيَةَ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ نَزَلَتْ قَبْلَ سُورَةِ أَبِي لَهَبٍ لِمَا رَوَاهُ أَبُو أُسَامَةَ يَبْلُغُ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمَّا نَزَلَتْ،وَأَنْذِرْعَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَقَوْمَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ،وَلَمْ يَقُلْ مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ،خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا،فَتَعَيَّنَ أَنَّ آيَةَ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ تُشْبِهُ صَدْرَ الْآيَةِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ نُزُولِ سُورَةِ أبي لَهب(3).

مناسبتها لما قبلها: لما قدم سبحانه وتعالى في سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة،والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذي مر عليهم مع الذلة من القلة،وختمها بأنه التواب،وكان أبو لهب من شدة العناد لهذا الدين والأذى لإمامة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد العالمين مع قربه منه بالمحل الذي لا يجهل، بل شاع واشتهر،وأحرق الأكباد وصهر، كان بحيث يسأل عن حاله إذ ذاك هل يثبت

(1)تفسير مقاتل بن سليمان،أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى(ت/150هـ)، (911/4)،ت/ عبد الله محمود شحاته،دار إحياء التراث، بيروت،ط1 ،1423هـ

(2)صحيح البخاري(180/6)رقم الحديث4971، بَابُ قَوْلِهِ"فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" النصر3،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحيح ،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت/261هـ)(193/1)،بَابٌ فِي قَوْلِهِ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"،ت/محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي، بيروت

(3)التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(600/30).

عليه أو يذل، فشفى غلَّ هذا السؤال،وأزيل بما يكون له من النكال،وليكون ذلك بعد وقوع الفتح ونزول الظفر والنصر،والإظهار على الأعداء بالعز والقهر،مذكراً له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما كان أول الأمر من جبروتهم وأذاهم وقوتهم بالعَدد والعُدد، وأنه لم يغن عنهم شيء من ذلك، بل صدق الله وعده في قوله سبحانه وتعالى "قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جنهم وبئس المهاد"آل عمران12وكذبوا فيما كانوا فيه من التعاضد والتناصر والتحالف والتعاقد،فذكر تعالى أعداهم له وأقربهم إليه في النسب إشارة إلى أنه لا فرق في تكذيبه لهم بين القريب والبعيد،وإلى أنه لم ينفعه قربه له ليكون ذلك حاملاً لأهل الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون إلى سبب أو نسب غير ما شرعه سبحانه،فقال تعالى معبراً بالماضي دلالة على أن الأمر قد قضى بذلك وفرغ منه، فلا بد من كونه ولا محيص"تبت"أي حصل القطع الأعظم والحتم الأكمل،فإنها خابت وخسرت غاية الخسارة، وهي المؤدية إلى الهلاك لأنه لا نجاة إلا نجاة الآخرة(1)،فهذه السورة وإن نزلت على سبب خاص وفي قصة معلومة فهي مع ما تقدمها واتصل بها في قوة أن لو قيل: قد انقضى عمرك يا محمد،وانتهى ما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك،وأديت ما تحملته وحان أجلك،وأمارة ذلك دخول الناس في دين الله أفواجاً،واستجابتهم بعد تلكؤهم،والويل لمن عاندك وعدل عن متابعتك وإن كان أقرب الناس إليك(2)،إن سورة المسد تمثل في بدايات الإسلام ردًا حازمًا على من آذى النبي صلى الله عليه وسلم بأقوالهم وأفعالهم، مما قد يجعل البعض يتردد في التمسك بدينهم في ظل تلك الظروف الصعبة، بينما سورة النصر، التي نزلت في أواخر الإسلام، تعكس انتصار المسلمين وقوة شوكتهم، مبشرة بفتح مكة، المدينة التي شهدت أذى النبي، وقد جاء ذلك بعد زوال عدوَّيه، ليظل النبي صلى الله عليه وسلم عزيزًا كريمًا، ويستمر دينه في الانتشار والازدهار.

(1)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت/885هـ)،(327/22)،(568/8)،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة

(2)البرهان في تناسب سور القرآن أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي،أبو جعفر(ت/708هـ)،(383/1)،ت/ محمد شعباني،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،1410هـ 1990م

مناسبتها لما بعدها: كانت عداوة أبى لهب وزوجه للنبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،ممثلة فى عداوتهما لدعوة التوحيد التي كانت عنوان رسالة النبىّ،صلوات الله وسلامه عليه، وكلمته الأولى إلى قومه وقد ساقت هذه الكلمة أبا لهب وزوجه،ومن تبعهما فى جحود هذه الكلمة،والتنكر لها- ساقتهم إلى هذا البلاء الذي لقياه فى الدنيا، وإلى هذا العذاب الأليم فى جهنم المرصودة لهما فى الآخرة،وسورة الإخلاص وما تحمل من إقرار بإخلاص وحدانية الله من كل شرك- هى مركب النجاة لمن أراد أن ينجو بنفسه من هذا البلاء،وأن يخرج من تلك السفينة الغارقة التي ركبها أبو لهب وزوجه،ومن اتخذ سبيله معهما من مشركى قريش ومشركاتها وها هوه النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،يؤذّن فى القوم، بسورة الإخلاص،ومركب الخلاص(1)،فهناك من قضى الله عليهم ألا يؤمنوا ليظلوا على كفرهم ويدخلوا النار،فقال سبحانه"تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَآ أغنى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سيصلى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ وامرأته حَمَّالَةَ الحطب فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ" إذن فأبو لهب ومن على شاكلته سيدخل النار ولن يدخل في دين الله أبداً،ويجيء قول الحق"وَرَأَيْتَ الناس يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الله أَفْوَاجاً"النصر2،هذا القول يفتح باب الأمل،ونرى دخول عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص،وعكرمة بن أبي جهل إلى الإسلام،ومجيء سورة المسد من بعد سورة النصر في الترتيب المصحفي كما أراد الله، يعلمنا أن هناك أناساً لن يدخلوا الجنة لأنهم مثل أبي لهب وزوجه،وتأتي من بعدها سورة الإخلاص"قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ الله الصمد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ" الإخلاص1، 4،أما كان أبو لهب يقدر أن يقول بعدها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ كان يقدر،ولو قالها لشكك في هذه الآية، ولقالوا:إنه لن يصلي ناراً ذات لهب،إن هذا الأمر كان له فيه اختيار،ولم يوفقه الله إلى أن يقولها ولو نفاقاً،لماذا؟لأن الحق قال بعد هذه الآية مباشرة"قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ" الإخلاص1، أي فليس إله آخر يرد أمره سبحانه وتعالى(2)،ولا ننسى أن عداوة أبا لهب ،وامرأته، كانت ممثلة

(1)التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (1710/16)
(2)تفسير الشعراوي محمد متولي الشعراوي(ت/1418هـ)،(3576/6-2506/4)،مطابع أخبار اليوم

في عداوتهما لكلمة ودعوة التوحيد،التي كانت عنوان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم،وتعطينا سورة الإخلاص إشارة النجاة من خزي الدنيا،وعذاب الآخرة ،وهي الإيمان بألوهية الله تعالى،هذا الاعتقاد الذي وقف أبو لهب ضده،وأعلن الحرب على كل من يحمل هذه العقيدة،ويدافع عنها،ونسي أن سبب النجاة من النار ذات اللهب هي كلمة التوحيد؛ونسيت امرأته أن النجاة من حبل من مسد،هي كلمة التوحيد.

المطلب الثاني: خسارة أبي لهب: نموذج الغرور وعواقبه.

يظهر استشراف المستقبل بوضوح في آيات السورة حيث تتجلى عظمة الآيات رغم قصرها،وقد جاءت تعبيرات المفسرين واضحة أو قريبة من الوضوح في هذا السياق، فاستشراف المستقبل في آيات السورة لا يرفع فقط معنويات الصحابة،بل يغرس الأمل في قلوبهم بأن هذا الدين سيظل منتصراً وأن الله سيفتح له أبواب النصر،فالسورة تحمل في ثناياها بلاغة عميقة ومعاني سامية، مستخدمة أسلوب التصوير القوي الذي يبرز أبا لهب كرمز للفشل والخسران، حيث جاء التعبير "تبت يداه" ليعكس عدم جدوى جهوده، كما أن تخصيص أبا لهب بالذكر يعكس أهمية الشخص المعارض، ويُظهر ما قد يترتب على معاداة الحق،إن ما يُنبئ به القرآن عن مصيره ومصير زوجته في مطلع السورة يُعد تأكيداً على عواقب الكفر والمكابرة، مما يبرز عمق الرسالة وقوة التأثير الذي تحمله،فقرر قاعدةالجزاء من جنس العمل،وكما يدين الفتى يدانَ،فالْكَلَامُ دُعَاءٌ وَتَقْرِيعٌ لِأَبِي لَهَبٍ دَافَعَ اللَّهُ بِهِ عَن نبيئه بِمثل اللَّفْظِ الَّذِي شَتَمَ بِهِ أَبُو لَهَبٍ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَزَاءً وِفَاقًا(1).

قال تعالي"تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ"، ففي افْتِتَاح السُّورَة بالتباب مُشْعِرٌ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ لِتَوْبِيخٍ وَوَعِيدٍ،فَذَلِكَ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالٍ مِثْلَ مَا تُفْتَتَحُ أَشْعَارُ الْهِجَاءِ بِمَا يُؤْذِنُ بِالذَّمِّ

(1)أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري،(5/ 43)،مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،السعودية، 1424هـ،ط2003/5م،التحرير والتنوير (601/30).

وَالشَّتْمِ(1)،فلم يقل قل تبت يدا أبي لهب،ولكن جاء بالدعاء عليه مباشرة من فوق سبع سماوات،حيث تولي سبحانه المناضلة والمحاجة والخصومة عنه صلي الله عليه وسلم ، وهذا من تمام محبته صلي الله عليه وسلم فهذه السورة الكريمة وعيد شديد من الله تعالي لفرعون قريش المكنى بأبي لهب لإشراق وجهه ووضاءته في البداية،ولتعذيبه بلهيب النار في النهاية،وقد كان كثير الإذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغض له،والدعاية ضده في الأسواق والمجتمعات يلاحقه في كل مكان يحل به للدعوة إلى دين الله(2).

فلم يقل في أول هذه السورة قل كما في سورة الكافرين، حتى لا يشافه عمه بما يزيد في غضبه،رعاية للحرمة،وتحقيقا لمبدأ الرحمة(3)،ولأنهم في هذه السورة طعنوا في حق محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى اسكت أنت فإنيّ أشتمهم تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وفيه تنبيه على أن الذي لا يشافه السفيه كان الله ذابا عنه وناصرا له(4)

يقول صاحب نظم الدرر :والسبب في مجيء الخطاب في السورة عن الله ولم يفتتحها بـ قل كأخواتها لأن هذا أكثر أدباً وأدخل في باب العذر وأولى في مراعاة ذوي الرحم،وأشد في انتصار الله سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وسلم وأقرب إلى التخويف وتجويز سرعة الوقوع،ولئلا يكون مشافهًا؛ لعمه بالشتم والتغليظ،وإن شتمه عمه؛ لأن للعم حرمة كحرمة الأب؛ لأنه مبعوث رحمة للعالمين،وله خلق عظيم،فأجاب الله عنه،ولأنَّ الْكُفَّارَ فِي تِلْكَ السُّورَةِ طَعَنُوا فِي اللَّهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ أَجِبْ عَنْهُمْ: قل يا أيها الْكَافِرُونَ وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ طَعَنُوا فِي مُحَمَّدٍ، فقال الله تعالى أسكت أنت فإن أَشْتُمُهُمْ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، أيضاً لَمَّا شَتَمُوكَ،فَاسْكُتْ حَتَّى تَنْدَرِجَ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ"وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً" الْفُرْقَانِ 63 وَإِذَا سَكَتَّ أَنْتَ أَكُونُ أَنَا الْمُجِيبَ عَنْكَ(5).

(1)التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(600/30).
(2)التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري(ت/1414هـ)(476/6)،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط1، 1405هـ، 1985م
(3)التفسير المنير للزحيلي(456/30)
(4)تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (590/6).
(5)نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور(568/8)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (420/32)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (351/32).

ولقد أسهمت لفظة"تَبَّتْ"في اتساع المعني الدلالي،فجاءت بمعاني مختلفة منها"تَبَّتْ" أَيْ غُلِبَتْ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ يَدَهُ هِيَ الْعُلْيَا وَأَنَّهُ يُخْرِجُهُ مِنْ مَكَّةَ وَيُذِلُّهُ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ، وقيل: صَفِرَتْ يَدَاهُ من كُلِّ خَيْرٍ،وقيل:هلكت،وقيل: خسرت، وقيل:خابت وضلت(1)،والمعني العام الذي تدور حوله لفظ "تب"هو القطع بدليل أن تقدم بعض حروفها علي بعض عن طريق التقليب الاشتقاقي،مما يظهر ارتباط مادتها اللغوية بمعني عام واحد يجمعها،فالذي يحقق معاني التب ويظهر أنه يؤول إلى القطع مقلوبه،وهو البت،فيقال:بت الشيء يبته بتاً،وأبته :قطعه قطعاً مستأصلاً(2)،ويُعتبر هذا التقارب الاشتقاقي دليلاً على وحدة المعنى،فالكلمة تحمل معاني عديدة،مثل الهلاك والخسارة،مما يدل على غناها اللغوي،وهذه التفسيرات كلها قريبة في المعني.

وقوله تعالي "وَتَبَّ" تب فعل ماض،والتاء تاء التأنيث لأن اليد مؤنثة ومعني تبّت يداه أي تب هو،أَخْبَرَ عَنْ يَدَيْهِ،وَالْمُرَادُ بِهِ نَفْسُهُ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي التَّعْبِيرِ بِبَعْضِ الشَّيْءِ عَنْ كُلِّهِ ،وَقِيلَ:الْيَدُ صِلَةٌ،كَمَا يُقَالُ:يَدُ الدَّهْرِ وَيَدُ الرَّزَايَا وَالْبَلَايَا،وخص الْيَدَيْنِ بِالتَّبَابِ،لِأَنَّ الْعَمَلَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِهِمَا،أَيْ خَسِرَتَا وَخَسِرَ،وتكرار عبارة "تَبَّتْ" لتعزيز الفكرة وتأكيدها مما يخلق وقعاً قوياً في النفس،وعلي هذا فلا تكرار إذ لكل من اللفظين معناه،ومدلوله الخاص به ،ويكون المعني:"تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ"حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ رَبِّهِ "وَتَبَّ"حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ رَسُولِهِ (3).

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن فتحُ البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي(ت/1307هـ)(437/15)،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري،المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر ،صَيدَا ،بَيروت،عام النشر : 1412 هـ 1992م،مفاتيح الغيب(349/32)،أوضح التفاسير (765/1)،جامع البيان للطبري(675/24)

(2) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسورالبقاعي(569/8) لسان العرب (6/2).

(3) تفسير القرطبي(235/20)،إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد درويش (ت/1403هـ) (608/10- 609)،دار الإرشاد للشئون الجامعية،حمص،سورية،دار اليمامة،دمشق،بيروت،دار ابن كثير ،دمشق،بيروت،ط4، 1415هـ، التحرير والتنوير(599/30)، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت/606هـ)(350/32)،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط3، 1420هـ

يقول الشيخ/ عبد الكريم الخطيب: وفي هذه الآية الكريمة تكررت كلمة تَبَّتْ مرتين،والكلمة المكررة أخذت نفس معني الكلمة الأولي،فكلتاهما تدلان علي الهلاك،لكن الأولى دعاء عليه بالخسران والهلاك،الثانية إخبار من الله بأن هذا الدعاء قد حصل،وقد خسر في الدنيا والآخرة، فلفظ التب يدل على القطع والحسم،ويحكى الصوت الذي يحدث عند فصل الشيء عن الشيء،والمفسرون مجمعون على أن هذا دعاء على أبى لهب من الله سبحانه وتعالى، بقطع يديه، أي قطع القوى العاملة فيه،الممكّنة له من الشر والعدوان،وهما يداه اللتان يبطش بهما،إذ كان اليد دائما هى مظهر آثار الإنسان،بها يأخذ،وبها يعطى،فإذا ذهبت اليد اليمنى،قامت اليسرى مقامها،فإذا ذهبت اليدان أصبح الإنسان معطل الحركة،عاجزا عن أن يحصّل خيرا،أو يتناول خيرا،أشبه بالطائر الذي فقد جناحيه،إنه هالك لا محالة،ولهذا جاء بعد ذلك قوله"وتب"أي هلك هو،بعد أن قطعت يداه،والرأى عندنا والله أعلم أن هذا الخبر على حقيقته،وأنه خبر مطلق،لم يخرج عن حقيقته إلى الدعاء، فأبو لهب قد وقع عليه الهلاك فعلا، وحل به البلاء منذ اتخذ من النبي،ومن الدعوة الإسلامية،هذا الموقف الأثيم الضال،وفى هذا الخبر إلفات للأنظار إلى هذا الطاغية الأثيم، وهو يلبس رداء الهلاك والضياع،على حين لا يزال شبحا يتحرك بين الناس،إنه أشبه بالمحكوم عليه بالموت،ينتظر ساعة التنفيذ فيه!! (1)،فجملة وَتَبَّ مؤكدة لما قبلها،أو المراد بالأولى خسرانه فيما كسبه وعمله بيديه،حيث لم يفده ولم ينفعه،وما بعده عبارة عن خسرانه في نفسه وذاته لأن سعي المرء لإصلاح نفسه وعمله،فأخبر بأنه محروم منهما،فـ"تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ"دعاء عليه من الله ،وأما قوله"وَتَبَّ"فإنه خبر ،أي عما سيحقق له في الدنيا والآخرة(2)،وفي إيثار التباب على الهلاك ونحوه؛لإيغاله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم،

(1)التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (1704/16).
(2)محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي(ت/1332هـ) (563/9)،ت/ محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلميه،بيروت،ط1، 1418هـ

وإسناده إلى يديه،والتعبير بالماضي في الموضعين لتحقق الوقوع،والمعني: خسرت يدا أبي لهب وشقي بإيذائه رسول الله صلى الله عليه وسلم،وقد تحقق خسران أبي لهب(1).

يقول صاحب نظم الدرر: ولما كانت اليد محل قدرة الإنسان،فإذا اختلت اختل أمره،فكيف إذا حصل الخلل في يديه جميعاً،قال مشيراً بالتثنية إلى عموم هلاكه بأن قوته لم تغن عنه شيئاً،ولأن التثنية يعبر بها عن النفس،فاليدان كناية عن الذات والنفس،لما بينهما من اللزوم في الجملة،أو مجاز من باب إطلاق الجزء على الكل(2)،وحذفت نون المثني في قوله"يدا"حذفاً واجباً للإضافة، وقيل:إنَّها على الأَصل لأَنَّ يَدَا لغة فى اليَد(3).

وفي قوله"أَبِي لَهَبٍ" وأبو لهب كان أبرز معلم من معالم الجاهلية،التي واجهتها الدعوة الإسلامية،بما كان عليه هذا الجهول من طيش طاغ، وضلال مبين،ومع أنه كان عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مما تقضى به التقاليد العربية الجاهلية الانتصار للقريب،ظالما أو مظلوما، كما كان ذلك شأنهم،فإن هذا الشقي كان من أسفه السفهاء على النبي،وأشدهم عدوانا عليه،وأكثرهم أذى له، حتى إنه وعلى غير تقاليد الجاهلية يدخل معه امرأته فى هذه العداوة،ويجرها جرّا إلى تلك المعركة التي يخوضها ضد النبىّ، ولهذا كان لرجل الوحيد من قريش الذي ذكره القرآن باسمه،وأعلن فى العالمين عداوته لله، وغضب الله عليه،ووقوع بأسه وعذابه به،وذلك ليكون لعنة على كل لسان إلى يوم الدين،لا يذكر اسمه إلا ذكر مدموغا باللعنة،مرجوما بالشماتة والازدراء، تتبعه امرأته مشدودة إليه بحبل من مسد، كما كانت مشدودة إليه فى الدنيا بحبل عداوتهما للنبى، وحسدهما له(4)،واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم،وقد اشتهر بكنيته وعرف بها لولد له يقال له لهب،أو لتلهب وجنتيه وإشراقهما،مع الإشارة إلى أنه من أهل

(1)التفسير الوسيط،مجمع البحوث(2045/10)،التفسير الميسر نخبة من أساتذة التفسير،(603/1)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،السعودية،ط2،مزيدة ومنقحة،1430هـ، 2009م

(2)نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور(568/8)،محاسن التأويل القاسمي (563/9).

(3)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت/817هـ)(384/5)،ت/ محمد علي النجار،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

(4)التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (1703/16).

النار،وأن مآله إلى نار ذات لهب،فوافقت حاله كنيته،فحسن ذكره بها،وَالْأَبُ: يُطْلَقُ عَلَى مُلَازِمِ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِمْ:أَبُوهَا وَكَيَّالُهَا،وَكَمَا كُنِّيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَبَا الضِّيفَانِ وَكَنَّى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ صَخْرٍ الدُّوسِيَّ:أَبَا هُرَيْرَةَ لِأَنَّهُ حَمَلَ هِرَّةً فِي كُمِّ قَمِيصِهِ،وَكُنِّيَ شَهْرُ رَمَضَانَ:أَبَا الْبَرَكَاتِ، وَكُنِّيَ الذِّئْبُ:أَبَا جَعْدَةَ وَالْجَعْدَةُ سَخْلَةُ الْمَعِزِ لِأَنَّهُ يُلَازِمُ طَلَبَهَا لِافْتِرَاسِهَا ،فَكَانَتْ كُنْيَةُ أَبِي لَهَبٍ صَالِحَةً مُوَافِقَةً لِحَالِهِ مِن اسْتِحْقَاقِهِ لَهَبَ جَهَنَّمَ فَصَارَ هَذَا التَّوْجِيهُ كِنَايَةً عَنْ كَوْنِهِ جَهَنَّمِيًّا لِيَنْتَقِلَ مِنْ جَعْلِ أَبِي لَهَبٍ بِمَعْنَى مُلَازِمِ اللَّهَبِ إِلَى لَازِمِ تِلْكَ الْمُلَازَمَةِ فِي الْعرف،وَهُوَ أَنه مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ(1)،وعبّر بالكنية وإن كان يؤتى بها غالباً للتشريف إلى مطابقة اسمه لحاله،ومجانسته الموجبة لعظيم نكاله،وإشارة إلى أن حسن صورته لم تغن عنه شيئاً من قبيح سيرته لقوله صلى الله عليه وسلم"إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" ، لأنه إنما كني بهذا لشراق وجهه وتوقد وجنتيه،ولأنها أشهر،فالبيان بها أقوى وأظهر، والتعبير بها مع كونه أوضح أقعد في قول التي هي أحسن لأن اسمه عبد العزى وهو قبيح موجب للعدول عنه غيرة على العبودية أن تضاف إلى غير مستحقها(2).

وكما أن تخصيصه بالذكر من بين سائر الكفره يحتمل وجوها: أحدها: لأنه كان من الفراعنة والأكابر،وهو المقصود به، والفراعنة قد يذكرون بأسمائهم؛ لما هم المقصودون به،وإن كان من دونهم يشاركونهم في ذلك؛كذكر فرعون،وعاد،وثمود، وغيرهم، والثاني:كان شديد الهيبة والخوف؛ فذكره باسمه،وخصه به؛ليعلم أن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لا يهابه،ولا يخافه،والثالث:أنه كثير الأيادي والصنائع بحق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فلو كان الخطاب بهذا يعم الكفرة،لكان يظن بما سبق منه من الأيادي أنه غير داخل تحت الخطاب؛فخصه بالذكر؛ليعلم أنه لا يغنيه من الله شيء،وقيل:ذكره بالكنية يخرج مخرج الوعيد له،أي: تصير النار له كالابن،وهو كالأب لها؛وذلك لأن

(1)محاسن التأويل محمد جمال الدين القاسمي(563/9)،التحرير والتنوير(602/30).
(2)نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور(568/8)،صحيح مسلم (1987/4) باب تحريم ظلم المسلم وخزله،حديث رقم 2564.

هذه الكنى إنما تذكر في المتعارف على وجه التفاؤل،كما يقال: أبو منصور؛ على رجاء أن يولد له ابن يسمى: منصورًا،ثم إن الله تعالى سمى النار في بعض الآيات:أما للكافر،كقوله"فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ"القارعة 9،وفي بعضها:مولى؛حيث قال"هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"الحديد 15؛فجاز أيضا أن تكون النار إذا قربت منه،وانضمت إلى حجره أن تصير في التمثيل كالولد،ويصير هو أبا لها؛ فقال"أَبِي لَهَبٍ"؛على هذا الوجه من التأويل (1).

وإنما خص أبا لهب بالذكر في سورة مستقلة والتصريح باسمه الكنية؛لأنه اشتهر بالتكذيب والعداوة، وتعقب النبي صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته،ليحبط مساعيه ويصد الناس عن الإقبال على دعوته ورسالة ربه، حتى أصبح خطرًا على الإسلام،والناس أكثر تسمُّعًا منه من تسمُّعهم من غيره،لذا ضربه الله سبحانه هذه الضربة القاصمة؛ ليجعله عبرة ومثلًا للصاد عن الحق والمنفرة للناس عن دين الله،وفهم ما أنزل على نبيه من الهدى والرشاد، وكل شخص من الناس صنع صنيع أبي لهب، فهو أبو لهب،بل وأشد من أبي لهب؛ إذ إن أبا لهب عم رسول الله وصاحب الغنى والنسب لم يغن عنه ذلك شيئًا، ومن سار سيرته فأولئك هم أبناء لهب،لا تغن عنهم أموالهم ولا أعمالهم شيئًا،وسيُصْلَون ما يصلى أبو لهب من نار ذات لهب،وكل امرأة تنم بين الناس لتفرق كلمتهم وتذهب بهم مذاهب السوء،وتصد عن سبيل الله، فهي ممثلة في هذا المثل نازل بها ذلك النكال، وستحشر في نار ذات لهب لا يغني عنها مال ولا نسب(2)،وأيضاً لأنه تصدَّر في الرد علي النبي صلي الله عليه وسلم رغم

(1)تفسير الماتريدي=تأويلات أهل السنة محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي(ت/333هـ) (640،639/10)،ت/دمجدي باسلوم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1426هـ 2005م

(2)تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي(428/418/32)،إشراف ومراجعةد/هاشم محمد علي بن حسين مهدي،دار طوق النجاة، بيروت،لبنان،ط1، 1421هـ، 2001م، التفسير البسيط(409/24)أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن عليالواحدي،النيسابوري،الشافعي(ت/468هـ)ت/أصل تحقيقه في 15 رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود،ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه،وتنسيقه،عمادة البحث العلمي ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط1، 1430، التفسير المنير للزحيلي(456/30)

وجود كثرة المعارضين له والذين لم يؤمنوا،كان جزاؤه أن أُهمل ذِكر البقية وذكُر هو وحده جزاءً وِفاقاً(1)،وكما أن سَبَّ أبي لهب وعيبه للنبي صلي الله عليه وسلم كان علناً،أمام القوم المجتمعين لِمَا دعاهم إليه نبينا صلي الله عليه وسلم،فكان من اللائق أن يُعاد إليه العيب والذم أمام الناس أجمعين ،فمن ذم علي ملاءٍ استحق أن يذم أمام ملاءٍ خير منهم وأكثر،كما حصل في إنزال هذه السورة في القرآن، وكذلك لما أشرك أبناءه وزوجته معه في أذية النبي صلي الله عليه وسلم عُوقب بأن جُعِلوا جزءًا من عذابه وعقابه،ولم يُكْتَفَ بذلك بل حُقرت زوجته تحقيراً بارزاً،وصورت تصويراً شنيعاً،زيادة في هتك سترها الذي يتعدي إلي هتك ستره وحرمته ،تأكيداً لمعني تبابه وخسارته وهلاكه،حتي أحاط هذا الخسران والهلاك بأهله وزوجته (2)،وهكذا نرى أن الله يعطي رسوله في وقت الضعف الأدلة التي تؤكد له أنه رسول الله، والذي يدل على ذلك هؤلاء الذين أحبوا أن يؤذوه في اسمه،إنّ اسمه مُحمد كما نعرف، ومحمد أي الممدوح من الكل،وبكثرة،فيأتي خصومه ويريدون أن يهجوه وأن يلعنوه، فيصرفهم الله سبحانه وتعالى حتى عن شتم الاسم لا المسمى فقط،إن الله أراد أن يصعد العصمة،وأراد سبحانه ألا ينالوا بالسباب من اسم رسول الله، فألهم الله خصوم رسول الله أن يسموا المشتوم عندهم مذمما بدلا من محمد،وعندما يريدون اللعن،فهم لا يلعنون الاسم محمداً ولكنهم يسبون الاسم الذي اختاروه وهو مذمم، فيضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛عندما سمع ما قالته العوراء أم جميل امرأة أبي لهب ،مذمما عصينا ـ وأمره أبينا ـ ودينه قلينا،وهي تقصد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد حدث أن حمالة الحطب أتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها حجر فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا ترى إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه أما والله إني لشاعرة وقالت ما قالت،"ويقول

(1)تفسير الماتريدي،(639/10).
(2)الجزاء من جنس العمل من خلال سورة المسد،د/علي بن عبدالله السكاكر،(ص169ـ 182).

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا تعجبون لَما يصرف الله عني من أذى قريش يشتمون مُذَمَّماً ويلعنون مذمما وأنا محمد"(1)،هكذا نرى من أفواه الحاقدين على رسول الله أنه معصوم بإرادة الله،حتى الاسم أبعده الله عن اللعن،أما المسمى فلن يلعن ولن يشتم(2).

يقول صاحب الكشاف:فإن قلت: لم كناه والكنية تكرمة؟ قلت: فيه وجوه منها:أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم والاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغيّر منه شيء فيشكل على السامع،أو أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بأن يذكر بها،ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخيّر وكما كنّى رسول الله صلّى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة بصفرة كانت في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما فيجوز أن يذكر ذلك تهكما به وبافتخاره بذلك، أو أَنَّهُ كَانَ اسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّى،وَالْعُزَّى: صَنَمٌ،وَلَمْ يُضِفِ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعُبُودِيَّةَ إِلَى صَنَمٍ،أو أَنَّ الِاسْمَ أَشْرَفُ مِنَ الْكُنْيَةِ، فَحَطَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْأَشْرَفِ إِلَى الْأَنْقَصِ،إِذَا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْهُ،وَلِذَلِكَ دَعَا اللَّهُ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ بِأَسْمَائِهِمْ،وَلَمْ يَكُنْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ،وَيَدُلُّكَ عَلَى شَرَفِ الِاسْمِ عَلَى الْكُنْيَةِ:أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَمَّى وَلَا يُكْنَى،وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِظُهُورِهِ وَبَيَانِهِ،وَاسْتِحَالَةِ نِسْبَةِ الْكُنْيَةِ إليه،لتقدسه عنها،وَقَدْ قِيلَ: اسْمُهُ كُنْيَتُهُ،فَكَانَ أَهْلُهُ يُسَمُّونَهُ أَبَا لَهَبٍ ،لِتَلَهُّبِ وَجْهِهِ وَحُسْنِهِ،فَصَرَفَهُمُ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَقُولُوا أَبُو النُّورِ،وَأَبُو الضِّيَاءِ،الَّذِي هُوَ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ،وَأَجْرَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ أَنْ يُضِيفُوهُ إِلَى لَهَبٍ الَّذِي

(1)صحيح البخاري (186/4)،باب ما جاء في أسماء رسول الله صلي الله عليه وسلم،ح/رقم 3533
(2)تفسير الشعراوي(1798/3)،الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي(ت/911هـ)،(5/ 295)،دار الفكر،بيروت

هُوَ مَخْصُوصٌ بِالْمَكْرُوهِ الْمَذْمُومِ،وَهُوَ النَّارُ،ثُمَّ حَقَّقَ ذَلِكَ بِأَنْ يَجْعَلَهَا مَقَرَّهُ(1)،والذي أراه أنه سمي بقضاء وقدر أبا لهب ليكون من أهل النار نظيره اختيار الشيوعيين اليوم شعار الحمرة،وكلمة اليسار،لما سبق أنهم أهل النار وأصحاب الشمال وهم أهل النار(2)،وقد وقع ما أخبر به المولي عز وجل ،فلم يسلم أبو لهب،ومات علي الكفر،وفي هذا دليل واضح علي إعجاز القرآن الكريم حيث ما أخبر به وقع كما أخبر ولم يتخلف ،فجاءت السورة لتنبه الناس إلى أن الجزاء من جنس العمل،واستشرفت مصيره ومن معه،فخسرت يداه وشقى لاستعمال يديه فى أذى رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: المال والجاه: هل ينقذان من الهلاك.

ونري استشراف آفاق المستقبل في قوله تعالي"مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ"،فالآية اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ لِلِانْتِقَالِ مِنْ إِنْشَاءِ الشَّتْمِ وَالتَّوْبِيخِ إِلَى الْإِعْلَامِ بِأَنَّهُ آيِسٌ مِنَ النَّجَاةِ،ومِنْ هَذَا التَّبَاتِ، وَلَا يُغْنِيهِ مَالُهُ، وَلَا كَسْبُهُ، أَيْ لَا يُغْنِي عَنْهُ ذَلِكَ فِي دَفْعِ شَيْءٍ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ(3)،وتشير إلى تأكيد عدم جدوى المال والجاه يوم القيامة،حيث توضح أن ما كان يعتز به في الدنيا من ثروات لن يفيد أمام عذاب الله، كما أن الكسب الحقيقي لا يتوقف على المال،بل يُشمل ما يرضي الله،مما يُظهر أن أبو لهب،رغم قوته، كان في قيد الهلاك دون أي وسيلة للنجاة،مما يعكس فكرة أن القيم الروحية والأخلاقية تتفوق على القيم المادية،وهذا الاستشراف للمستقبل يوضح أن المال ليس المقياس الحقيقي للنجاح.

وقد ذكر هنا أن ما كان يعتزّ به فى الدنيا من مال وجاه لم يغن عنه من الله شيئا يوم القيامة،وهو كلام مستأنف للانتقال من ذمه والدعاء عليه بالهلاك،إلى بيان أن ماله وجاهه لن يغنى عنه من عذاب الله شيئا،والتعبير بالماضي في قوله"ما أَغْنى" لتحقيق

(1)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،الزمخشري جارالله (ت/538هـ)،(814/4)،دار الكتاب العربي،بيروت،ط3، 1407هـ،إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت/1403ه)(610/10)،تفسير القرطبي(236/20).
(2)أيسر التفاسير للجزائري (5/ 627)
(3)التحرير والتنوير (603/30)

وقوع عدم الإغناء(1)،وهو تعقيب على هذا الخبر،فقد هلك أبو لهب،ونزل به ما نزل من هوان وخسران،دون أن ينفعه هذا المال الذي جمعه،واعتز به،ولا هؤلاء الأبناء الذين اشتد ظهره بهم.. لقد تخلى عنه ماله وولده جميعا،وتركوه لمصيره الذي هو صائر إليه، إنه فى قيد الهلاك وهو بين أيديهم،فهل يستطيع أحد أن يمد يده إلى نجاته؟إنه بين مخالب عقاب محلق به فى السماء،إن سقط من بين مخالبه هلك،وإن مضى به هلك!!(2)،فقد اطردت سنته الكونية سبحانه فى عباده، بأن من مكر بالباطل مكر به، ومن احتال احتيل عليه، ومن خادع غيره خدع...فلا تجد ما كراً إلا وهو ممكور به، ولا مخادعا إلا وهو مخدوع، ولا محتالا إلا وهو محتال عليه(3)

يقول صاحب نظم الدرر:لما أوقع سبحانه الإخبار بهلاكه على هذا الوجه،زاد الأمر إعلاماً بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها فقال مخبراً،أو مستفهماً منكراً "ما أغنى" أي أجزى وناب وسد"عنه" أي عن أبي لهب الشقي الطريد المبعود عن الرحمة مع العذاب"ماله" أي الكثير الذي جرت العادة بأنه ينجي من الهلاك،ولما كان الكسب أعم من المال،وكان المال قد يكسب منافع هي أعظم منه من الجاه وغيره، وكان الإنسان قد يكون فائزاً ولا مال له بأمور أثلها بسعيه خارجة عن المال،قال مفيداً لذلك مبيناً أنه لا ينفع إلا ما أمر الله به وما كسب أي وإن كان ذلك على وجه هائل من الولد والأصحاب والعز بعشيرته(4)،

و"ما"استفهام في معنى الإنكار،أو ناقية،والمعنى: لم ينفعه ماله وما كسب بماله من الأَرباح والمنافع والوجاهة والأَتباع،أو ما نفعه ماله الذي أَورثه عن أَبيه والذي كسبه

(1)التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د محمد سيد طنطاوي(535/15)،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،ط1

(2)التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (1705/16)

(3)إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت/ 751هـ)(360/1)،ت/محمد حامد الفقي مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية

(4)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(335/22)

بنفسه،وعن ابن عباس: ما كسب من الولد،أَخرج أَبو داود عن عائشة مرفوعًا"إِنَّ أَطْيَبَ مَا يَأْكُلُ الرجُلُ مِن كَسبِهِ وإِنَّ ولَدَهُ مِنْ كَسبِهِ"(1).

وَالظَّاهِرُ أَنَّ "مَا" فِي مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ" نَفْيٌ،أَيْ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ الْمَوْرُوثُ عَنْ آبَائِهِ، وَمَا كَسَبَ هُوَ بِنَفْسِهِ أَوْ مَاشِيَتُهُ،وَمَا كَسَبَ مِنْ نَسْلِهَا وَمَنَافِعِهَا،أَوْ مَا كَسَبَ مِنْ أَرْبَاحِ مَالِهِ الَّذِي يَتَّجِرُ بِهِ،وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ"مَا" اسْتِفْهَامًا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ،أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ يُغْنِي عنه مَالُهُ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيرِ وَالْإِنْكَارِ؟وَالْمَعْنَى: أَيْنَ الْغِنَى الَّذِي لِمَالِهِ وَلِكَسْبِهِ؟ وَالظَّاهِرُ أَنَّ"مَا" فِي قَوْلِهِ"وَما كَسَبَ" مَوْصُولَةٌ(2)، والراجح أن"ما"الأولى نافية،والثانية موصولة،أى: ما أغنى عنه شيئا ماله الذي ورثه عن أبيه، وأيضا ما أغنى عنه شيئا ماله الذي جمعه واكتسبه هو بنفسه عن طريق التجارة وغيرها(3).

وقال الامام الفخر الرازي:"مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ"مَا أَغْنى يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اسْتِفْهَامًا بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ،وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَفْيًا،وَعَلَى التَّقْدِيرِ الْأَوَّلِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَيُّ تَأْثِيرٍ كَانَ لِمَالِهِ وَكَسْبِهِ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ عَنْهُ،فَإِنَّهُ لَا أَحَدَ أَكْثَرُ مَالًا مِنْ قَارُونَ فَهَلْ دَفَعَ الْمَوْتَ عَنْهُ،وَلَا أَعْظَمَ مُلْكًا مِنْ سُلَيْمَانَ فَهَلْ دَفَعَ الْمَوْتَ عَنْهُ، وَعَلَى التَّقْدِيرِ الثَّانِي يَكُونُ ذَلِكَ إِخْبَارًا بِأَنَّ الْمَالَ وَالْكَسْبَ لَا يَنْفَعُ فِي ذَلِكَ،وقوله"مَا كَسَبَ" مرفوع وما مَوْصُولَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ يَعْنِي مَكْسُوبَهُ أَوْ كَسْبَهُ، وفي الْمَعْنَى المراد وُجُوهًا: أَحَدُهَا: لَمْ يَنْفَعْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ بِمَالِهِ يَعْنِي رَأْسَ الْمَالِ وَالْأَرْبَاحِ وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمَالَ هُوَ الْمَاشِيَةُ وَمَا كَسَبَ مِنْ نَسْلِهَا، وَنِتَاجِهَا، فَإِنَّهُ كَانَ صَاحِبَ النَّعَمِ وَالنِّتَاجِ وَثَالِثُهَا: مالُهُ الَّذِي وَرِثَهُ مِنْ أَبِيهِ وَالَّذِي كَسَبَهُ بِنَفْسِهِ،وَرَابِعُهَا:مَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ وَعَمَلُهُ الْخَبِيثُ يَعْنِي كَيْدَهُ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ،وَخَامِسُهَا:وَما كَسَبَ أَيْ عَمَلُهُ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ كَقَوْلِهِ:وَقَدِمْنا إِلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ"الْفُرْقَانِ23(4)،فالآية تستخدم أسلوب النفي،حيث تعبر"ما أغنى"عن عدم

(1)مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت/241هـ)،(34/40)ح،رقم،24032،باب الصديقة عائشة بنت الصديق،ت/ شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة،ط1، 1421 هـ،2001م

(2)البحر المحيط في التفسير(566/10)

(3)التفسير الوسيط لطنطاوي(536/15)

(4)تفسير الفخر الرازي(351/32)

جدوى المال والجاه في مواجهة عذاب الآخرة،وهذا الأسلوب يعكس قوة المعنى ويؤكد على الفشل الذريع للمال في إنقاذ الإنسان من العقاب.

ورُوِيَ أنه كانَ يقولُ إنْ كانَ ما يقولُ ابنُ أخِي حقاً فأنَا أفتدِي منْهُ نفسِي بمالِي وولدِي فأستخلصُ منهُ وقد خابَ مرجاهُ وما حصلَ ما تمناهُ فافترسَ ولدَهُ عتبةَ أسدٌ في طريقِ الشامِ بينَ العيرِ المكتنفةِ بهِ وقدْ كانَ عليهِ السلامُ دعَا عليهِ وقالَ اللهمَّ سلِّطْ عليهِ كلباً من كلابكَ،وتحقق استشراف القرآن الكريم لمستقبل هذا الرجل فقد هلك نفسه بالعدسةِ (1)بعدَ وقعةِ بدرٍ لسبعِ ليالٍ فاجتنبَهُ أهلُهُ مخافةَ العدوَى وكانتْ قريشٌ تتقيهَا كالطاعونِ فبقَي ثلاثاً حتى أنتنَ ثم استأجرُوا بعضَ السودانِ فاحتملُوه ودفنُوه فكان الأمرُ كما أخبرَ بهِ القرآن(2)،وكان له ثلاثة أبناء عتبة،ومتعب وقد أسلما يوم الفتح،وسر النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهما ودعا لهما،وشهدا حنينًا والطائف،وعتيبة بالتصغير لم يسلم،وهو الذي قتله الأَسد ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (3).

وكان قد خطب بنتي رسول الله صلي الله عليه وسلم،رقية وأم كلثوم لولديه قبل بعثة النبي صلي الله عليه وسلم،رقية، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما حتي يثقل كاهل النبي صلي الله عليه وسلم،بهما،فـ رقية وأم كلثوم لهما حوادث،منها حوادث مؤسفة،لإنَّ عتبة بن أبي لهب عقد على رقية،وأخوه عتيبة عقد على أم كلثوم،وكان هذا قبل بعثة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم(4)،وكَانَ أَبُو لَهَبٍ أَغْنَى بَنِي هَاشِمٍ،وَمِنْ أَكْثَرِ الْمُشْرِكِينَ غُرُورًا بِمَالِهِ وَثَرْوَتِهِ وَنَسَبِهِ وَكَانَ بِهَذَا الْغُرُورِ أَوَّلَ مَنْ جَاهَرَ بِعَدَاوَةِ ابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مُحْتَقِرًا لَهُ(5).

(1)العدسة: بثرة تخرج بالبدن فتقتل، انظر: تفسير القرطبي (20/ 243)

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت/982هـ)(210/9)،دار إحياء التراث العربي،بيروت،السنن الكبرى للبيهقي(347/5)ح رقم 10052م

(3)التفسير الوسيط – مجمع البحوث (2046/2045/10)،الكشاف للزمخشري(ت/538هـ) ،(814/4)

(4)تفسير الشعراوي(19/ 12163)،(9/ 5368)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (608/4) شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي(ت/977ه)، مطبعة بولاق (الأميرية)،القاهرة،عام 1285ه.

(5)تفسير المنار (106/11).

ولَمَّا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حَالِ أَبِي لَهَبٍ فِي الْمَاضِي بِالتَّبَابِ وَبِأَنَّهُ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَكَسْبُهُ، أَخْبَرَ عَنْ حَالِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِأَنَّهُ سَيَصْلَى نَارًا، فالسين للاستقبال،وإن تراخى الزمان، وهو وعيد كائن إنجازه لا محالة،وإن تراخى وقته،وهذا وعيد من الله سبحانه وتعالى لما سيلقى أبو لهب فى الآخرة،بعد أن عرف مصيره فى الدنيا،وأن كل ما كان يكيد به للنبى،قد ردت سهامه إليه، فرأى بعينيه فى الدنيا،كيف حلت الهزيمة بقريش يوم بدر، وكيف قتل صناديدها،وأسر زعماؤها،وفى وصف النار بأنها ذات لهب،إشارة إلى شؤم هذا الاسم الذي تسمى به،أو الكنية التي تكنّى بها "أبو لهب"،فقد ولد،وهو يلبس هذا الثوب الناري، الذي جعل منه وقودا يشتعل،ويتلهب،وكأنه شارة من شارات جهنم ذات اللهب التي يلقاها فى الآخرة، ويصلى جحيمها،إنه من لهب،وإلى اللهب،فهَذِهِ الْآيَاتُ تَضَمَّنَتِ الْإِخْبَارَ عَنِ الْغَيْبِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا:الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِالتَّبَابِ وَالْخَسَارِ ،وَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ وَثَانِيهَا:الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ،وَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ،وَثَالِثُهَا:الْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ،وَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ(1)،فهذه الآية من أنباء يوم القيامة التي لا علم لنا بعقولنا بشيء منها البته، كل ما نعرفه عنها إنّما من إنباء الوحي،ولذا كان إنباءٌ الوحي لنا بأحوالِها من فيضٍ الربوبية ومن عطاءات الرحمانية، والتي تستوجب علينا حمد الله سبحانه وتعالي عليها،فوق استحقاقه علينا حمده والثناء عليه لذاته، ومن هذا الفيض أن يجمع إلي إنبائنا بهذا الغيب نعمة الالتفات إليه وتدبره وتذكره،والانتفاع بذلك في ضبط حركة حياتنا في مسيرنا إلي مصيرنا،فتلك نعمة عظمي إلي آلاء أعظم،ولَّما كان المحصول المعرفي بما يكون لأبي لهب الذي يُنتجه التصور العقلي مهما بلغ هذا التصور العقلي في فتوته وفحولته وصوابه وإحاطته غير ملائم لحالٍ أبي لهب من جهةٍ، وغير ملائم من جهةٍ أخري لما يراد أن يقام في قلب المتلقي حتي يتحاجز بكل ما يملك في كل حال من أحواله عن منهج أبي لهبٍ وامرأتِه، لما كان كذلك تولي البيان القرآني الإنباء بذلك الغيب الذي لا سبيل لنا إلي معرفته إلا بإنباء الغيب، وهذا من عظيم رحمة الله عز وجل بنا، وهو

(1) تفسير الرازي (352/32)، التفسير القرآني للقرآن(1706/16)

من فيض جمال الربوبية علينا،ومن هنا يتبين لنا أن الآيات الأربع الأخيرة في السورة هي بيان للآية الأولي فيها،فالسورة قائمة من أمرين: مجملٍ ومفصّلٍ له، أو من أمرٍ واحدٍ إن شئت هو نبأ مجمل وتفصيله،فأسلوب الإجمال والتفصيل سِمة من سمات الإبانة في سورة المسد وقد اقتضاها مقصِد السورة(1)،فـ قوله"سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ" بيان للعاقبة السيئة التي تنتظره،بعد هذا الذم والتأنيب والوعيد،أى:سيلقى بأبى لهب في نار شديدة الحرارة ، تشوى الوجوه والأبدان،ووصف سبحانه النار بأنها"ذات لهب"لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وكفره،إذ هو معروف بأبى لهب،والنار موصوفة بأنها ذات لهب شديد،وسيجد حرها ويذوق وبالها،ولهب النار:ما يسطع منها عند اشتعالها،وذات لهب:أي تلهب وتوقد،وهي مناسبة لكنيته بأبي لهب:أي تلهب وجهه إشراقا وحمرة(2).

فقد خسر وافتضح في القرآن على مرور الأزمان،لأنه أول مَن أظهر الكفر والإنكار،فكان إمام المنكِرين،فكل مَن بادر بالإنكار على أهل الخصوصية انخرط في سلك أبي لهب،لا يُغني عنه مالُه وما كسب،وسيصلى نارَ القطيعة والبُعد،ذات احتراق ولهب(3)،وكان من مظاهر هذا الحقد كذلك أن يستعمل ماله فى هذه الحرب،وكانت الصحابة إذا قدمت عير إلى مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيئا من الطعام قوتا لعياله فيقوم أبو لهب فيقول:يا معشر التجار:غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا،وقد علمتم مالى ووفاء ذمتى، فأنا هنا من لا كساد عليكم فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا، حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله يتضاغون من الجوع، وليس فى يده شىء يطعمهم به، ويعدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعا وعريا، فكان عداؤه وحقده فى جهده

(1) خصائص البيان القرآني في سورة المسد مراجعات في المنهج والبيان،ا.د/ محمود توفيق محمد سعد،(ص253)،مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية،العدد 21،جمادى الآخرة 1437هـ.
(2)التفسير الوسيط لطنطاوي (536/15)، التفسير المنير للزحيلي (456/30)
(3)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي(ت/1224هـ)،ت/أحمد عبد الله القرشي رسلان،د/حسن عباس زكي،القاهرة، الطبعة: 1419 هـ

وسعيه وماله(1)،فقد حكم سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة؛بأن أبا لهب وامرأته سيموتان كافرين وسيدخلان النار،فكانت هذه السورة دليلاً من أدلة الإيمان بصدق الرسول في البلاغ عن الله، لأن أبا لهب كان كافراً، وكان هناك كفرة كثيرون سواه،ألم يكن عمر بن الخطاب منهم؟ ألم يكن خالد بن الوليد منهم؟ ألم يكن عكرمة بن أبي جهل منهم؟ ألم يكن صفوان منهم؟ كل هؤلاء كانوا كفاراً وآمنوا،فمن الذي كان يدري محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه بعد أن يقول"تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَآ أغنى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سيصلى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ وامرأته حَمَّالَةَ الحطب فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"من كان يدري محمداً بعد أن يقول هذا ويكون قرآناً يُتلى ويحفظه الكثير من المؤمنين،وبعد ذلك كله من كان يدريه أن أبا لهب يأتي ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقد يضيف: إن كان محمد يقول: إنني سأصلى ناراً ذات لهب فهأنذا قد آمنت،مَن كان يدريه أنه لن يفعل،مثلما فعل ابن الخطاب،وكما فعل عمرو بن العاص،إن الذي أخبر محمداً يعلم أن أبا لهب لن يختار الإيمان أبداً،فيسجلها القرآن على نفسه،وبعد ذلك يموت أبو لهب كافرا،وكأن الله يريد أن يؤكد هذا فيوضح لك: إياك أن تظن أن ذلك الوعيد يتخلف؛لأنى أنا أحد صمد،ولا أحد يعارضنى في هذا الحكم وإذا حكم الله فإياك أن تشُكَّ في هذا الحكم؛لأنه لا إله إلا الله وهو على كل شيء قدير،وما دام الله أحداً فأمره نافذ حتى في الأمور الاختيارية في الحياة(2)،وَلأن الْحُكْمُ بِبَقَاءِ أَبِي لَهَبٍ وَامْرَأَتِهِ فِي النَّارِ مَشْرُوطٌ بِبَقَائِهِمَا عَلَى الْكُفْرِ إِلَى الْمُوَافَاةِ،فَلَمَّا مَاتَا عَلَى الْكُفْرِ صَدَقَ الْإِخْبَارُ عَنْهُمَا، فَفِيهِ مُعْجِزَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،فَامْرَأَتُهُ خَنَقَهَا اللَّهُ بِحَبْلِهَا،وَأَبُو لَهَبٍ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْعَدَسَةِ(3)،فالآية إنباء عما ينتظره من عذابٍ في قبره بعد هلاكه في الدنيا،وفي الآخرة في جهنم،وكأن بينهما تقابلاً من وجهٍ: ذاك جزاؤه في الدنيا،وهذا جزاؤه في الآخرة،وتناسباً من وجهٍ آخر: هما معاً من باب واحد :باب التبِّ

(1)تاريخ نزول القرآن محمد رأفت سعيد،(ص129)،دار الوفاء،المنصورة،مصر،ط1، 1422هـ، 2002م
(2)تفسير الشعراوي(4/1945-10/6379)
(3)تفسير القرطبي (20/243)

والهلاك،وقد جاءت السين مؤذنة بأن ذلك قريب حدوثه،فلم يقل سوف يصلي وقد كان هذا ،فقد مات بعد بدر أي بعد عشر سنوات من نزول السورة، وأنت تلحظ العلاقة الدلالية بين قوله أبولهب ،وذات لهب فإن تكن هي ذات لهب،فإنه هو أبولهب ،فهو أحق الناس بهذه النار(1).

وفي كل هذا دلالة إثبات رسالته، حيث أخبر أنه سيصلى نارا،ولا يصلي النار إلا بعد ما يختم بالكفر، ثم كان كما أخبر؛ دل أنه علم ذلك بالله تعالى(2)،وقد ذكر أهل العلم من المفسرين(3) معجزة للنبي –صلى الله عليه وسلم– في هذه السورة وهو أنه أخبر أن أبا لهب وزوجه يدخلان النار،وذلك إنما يكون بموتهما على الكفر، فكان الأمر كذلك، وكانا على الكفر،وسئل الحسن فقيل: هل كان يستطيع أبو لهب أن لا يصلى النار؟ فقال والله ما كان يستطيع لا يصلاها وإنها لفي كتاب الله قبل أن يخلق(4).

وكَانَ مِنْ حِكْمَتِهِ تَعَالَى أَنْ عَادَى هَذِهِ الدَّعْوَةَ وَالْقَائِمَ بِهَا كُبَرَاءُ قَوْمِهِ قُرَيْشٍ، كِبْرًا وَبَغْيًا وَعُلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا عَنِ الِاعْتِرَافِ بِضَلَالِهِمْ وَضَلَالِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ فِي شِرْكِهِمْ، لِئَلَّا يَكُونَ فِي ظُهُورِهَا بِالْحَقِّ شُبْهَةٌ يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا إِنَّمَا قَامَتْ بِعَصَبِيَّةِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعَةُ أَعْمَامٍ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ مِنْهُمْ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَّا حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخُوهُ فِي الرَّضَاعِ وَقَرِيبُهُ مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ، فَإِنَّ أُمَّهُ ابْنَةُ عَمِّ آمِنَةَ أُمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،وَقَدْ آمَنَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ بِعْثَتِهِ،وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ عَمُّهُ الْكَبِيرُ الْغَنِيُّ أَوَّلَ مَنْ صَارَحَهُ الْعَدَاوَةَ، فَقَالَ لِقُرَيْشٍ: خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، قَبْلَ أَنْ تَجْتَمِعَ الْعَرَبُ عَلَيْهِ، وَحَسْبُكَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَفِي امْرَأَتِهِ حَمَّالَةِ الْحَطَبِ(5)،فهذه الآية تمثل معجزة،إذ أُخبر النبي بمصير أبي لهب قبل وقوعه،مما يؤكد أن حكم الله نافذ لا محالة،ويمثل مصير أبو لهب وزوجته

(1)خصائص البيان القرآني في سورة المسد مراجعات في المنهج والبيان،ا.د/ محمود توفيق محمد سعد،(ص259).
(2)تفسير الماتريدي أبو منصور الماتريدي (640/10).
(3)الجامع لأحكام القرآن(243/20)،وتفسير القرآن العظيم(604/4)
(4)التفسير البسيط النيسابوري (ت/468هـ)،(420/24).
(5)تفسير المنار(376/10)

تذكيرًا قاطعًا بأن الوعيد الإلهي لا يتخلف، كما تبرز العلاقة بين أبو لهب و"ذات لهب"، مما يجعل منه أحق الناس بالعذاب.

المطلب الرابع: امرأة أبي لهب: دورها في الكفر وعاقبتها في الآخرة.

وهنا استشراف آخر لآفاق المستقبل في السورة،فقد بيّن حال ابو لهب ومآله وصورته في الآخرة،وكذلك بيّن مآلها،وصورتها،ووصف حالها وهي في نار جهنم،وهي نفس الحالة والصورة التي كانت عليها في الدنيا،فجاء الجزاء من جنس العمل جزاء وفاقاً، فسيذوق حرّ نار جهنم ذات اللهب المشتعل المتوقد،أو سوف يعذب في النار الملتهبة التي تحرق جلده،قال تعالى"سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"،فليست المصيبة أن يصاب الإنسان بالخسارة في ماله أو في نفسه أو في أهله أو ولده،وهذا وإن كان كله يسمى مصيبة، لكن المصيبة العظمى هي المصيبة في الدين.

فقد أَعْقَبَ ذَمَّ أَبِي لَهَبٍ وَوَعِيدَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ لِامْرَأَتِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُشَارِكُهُ فِي أَذَى النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُعِينُهُ عَلَيْهِ فَلَمَّا حَصَلَ لِأَبِي لَهَبٍ وَعِيدٌ مُقْتَبَسٌ مِنْ كُنْيَتِهِ جُعِلَ لِامْرَأَتِهِ وَعِيدٌ مُقْتَبَسٌ لَفْظُهُ مِنْ فِعْلِهَا وَهُوَ حَمْلُ الْحَطَبِ فِي الدُّنْيَا، فَأُنْذِرَتْ بِأَنَّهَا تَحْمِلُ الْحَطَبَ فِي جَهَنَّمَ لِيُوقَدَ بِهِ عَلَى زَوْجِهَا، وَذَلِكَ خِزْيٌ لَهَا وَلِزَوْجِهَا إِذْ جَعَلَ شِدَّةَ عَذَابِهِ عَلَى يَدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهَا سَبَبًا لِعَذَابِ أَعَزِّ النَّاسِ عَلَيْهَا،وقَوْلُهُ"وَامْرَأَتُهُ" عَطْفٌ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي سَيَصْلى أَيْ وَتَصْلَى امْرَأَتُهُ نَارًا(1)،وتصلى امرأة أبي لهب معه أيضا النار، وكانت أم جميل هذه مؤذية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين بلسانها وغاية قدرتها،وقد صورها الله تعالى،في حالة العذاب بنار جهنم بصورة حالتها في الدنيا عند النميمة،وحينما كانت تحمل حزمة الشوك وتربطها في جيدها،ثم تلقيها في طريق النبي صلّى الله عليه وسلّم،لأن كل من أجرم في الدنيا يعذب بما يجانس حاله في جرمه،كذلك زاده تحقيراً بذكر من يصونها بأزرى صورة وأشنعها بقوله تعالى"وامرأته"،وقيل: إنّ الله تعالى يدخل امرأته جهنم على الصورة التي كانت عليها

(1)التحرير والتنوير (605/30)

حين كانت تحمل حزمة الحطب، ولا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من أصل شجرة الزقوم،أو من الضريع وفي جيدها حبل من مسد من سلاسل النار،كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه(1) ،فقد كَانَتْ عَوْنًا لِزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ وَعِنَادِهِ،فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَوْنًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فتَحْمِلُ الْحَطَبَ وتُلْقِي عَلَى زَوْجِهَا لِيَزْدَادَ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ،وَهِيَ مُهَيَّأَةٌ لِذَلِكَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ(2)،ولِمَ لَمْ يَكْتَفِ بِقَوْلِهِ:وَامْرَأَتُهُ بَلْ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا حَمَّالَةُ الْحَطَبِ؟ الْجَوَابُ: قِيلَ: كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ سِوَاهَا فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّهُ أَرَادَ كُلَّ مَنْ كَانَتِ امْرَأَةً لَهُ، بَلْ لَيْسَ الْمُرَادُ إِلَّا هَذِهِ الْوَاحِدَةَ،وإن قيبل:أَنَّ ذِكْرَ النِّسَاءِ لَا يَلِيقُ بِأَهْلِ الْكَرَمِ وَالْمُرُوءَةِ،فَكَيْفَ يَلِيقُ ذِكْرُهَا بِكَلَامِ اللَّهِ،وَلَا سِيَّمَا امْرَأَةُ الْعَمِّ؟ الْجَوَابُ: لَمَّا لم يستبعد فِي امْرَأَةِ نُوحٍ وَامْرَأَةِ لُوطٍ بِسَبَبِ كُفْرِ تَيْنِكَ الْمَرْأَتَيْنِ،فَلِأَنْ لَا يُسْتَبْعَدَ فِي امْرَأَةٍ كافرة زوجها رجل كافر أولى(3)

وقد كَانَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ سَادَاتِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ،وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ وَاسْمُهَا أَرْوَى بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ،وَكَانَتْ عَوْنًا لِزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ وَعِنَادِهِ، فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَوْنًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ(4)،وقد ذكرت السورة أن زوجته ستكون معه في النار ،وخصها الله بنوع من العذاب،وهو ما يكون حول عنقها من حبل تجذب منه في النار ،وتعرف به يوم القيامة؛لما كانت عليه من إيذاء للرسول وأصحابه،ومحاربة لدعوته ،وهكذا شاركت زوجها في الكيد لدين الله والصد عن سبيله في الدنيا، فشاركته في عذاب جهنم يوم القيامة(5)،فتكون في نار جهنم على الصورة

(1)السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (608/4) شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي.

(2)تفسير ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت/774هـ)، (486/8)،ت/ محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت،ط1، 1419هـ

(3)لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت/741هـ)،(495/4)،تصحيح: محمد علي شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1415هـ

(4)مختصر تفسير ابن كثير(اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني،(690/2).

(5)التفسير الوسيط للقرآن الكريم،مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (2043/10)الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،ط1،(1393هـ، 1973م)(1414هـ، 1993م)

التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك،فلا تزال على ظهرها(1)،وقد كَانَت من بيت عز وسيادة فكيف يليق بها أن تحمل الحطب؟،وقد ذكر الله تَعَالَى ذَلِك لبَيَان تخسيسها وتحقيرها،أَو لِأَنَّهَا عيرت رَسُول الله بالفقر فابتلاها الله تَعَالَى بِمَا هُوَ من عمل الْفُقَرَاء،فمعَ كثرةِ مالِها كانتْ تحملُ الحطبَ على ظهرِهَا لشدةِ بُخْلها فعيرتْ بالبخلِ(2)،ويحتمل أنها كانت تفعل ذلك لشدّة عداوتها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا ترى أنها تستعين في ذلك بأحد بل تفعله هي بنفسها (3)، وعَبَّرَ عَنْ قِلَادَتِهَا بِحَبْلٍ مِنْ مَسَدٍ عَلَى جِهَةِ التَّفَاؤُلِ لَهَا،وَذَكَرَ تَبَرُّجَهَا فِي هَذَا السَّعْيِ الْخَبِيثِ،فهي تَحْمِلُ الْحُزْمَةَ مِنَ الشَّوْكِ وَتَرْبِطُهَا فِي جِيدِهَا،كَمَا يَفْعَلُ الْحَطَّابُونَ تَحْسِيسًا لِحَالِهَا وَتَحْقِيرًا لَهَا بِصُورَةِ بَعْضِ الْحَطَّابَاتِ مِنَ الْمَوَاهِنِ لِتَمْتَعِضَ مِنْ ذَلِكَ وَيَمْتَعِضَ بَعْلُهَا وَهُمَا فِي بَيْتِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَفِي مَنْصِبِ الثَّرْوَةِ وَالْجَدَّةِ،فقال تعالي" فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"،أي في عنقها سلسلةٌ حديدٍ،لأنها اشتهرت بعداوة رسول الله صلي الله عليه وسلم ،فشهَّرها الله في جهنم بعلامة كحبل البَكَرة يرفعُ الدَّلو ويخفضُه،كذلك ترفعهامرةً وتخفضُها مرةً في النار(4)، والجيد العنق ويجمع على أجياد،والمسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما،والمسد بسكون السين مصدر بمعنى الفتل وبفتحها المحور من الحديد أو حبل من ليف أو كل حبل محكم الفتل والجمع مساد وأمساد،يقال مسد حبله يمسده مسدا من باب نصر أي أجاد فتله،وقيل: هي حبال من شجر ينبت باليمن يسمى المسدد،وكانت تفتله، وقيل: المسد يكون من الحديد، وظنُّ من ظنَّ أن المسد لا يكون

(1)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(817/4)،البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت/745هـ)،(568/10)،ت/ صدقي محمد جميل،دار الفكر – بيروت،الطبعة: 1420هـ

(2) تفسير السمعاني أبو المظفر،منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت/489هـ)(300/6)،ت/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم،دار الوطن ،الرياض،السعودية،ط1، 1418هـ،1997م،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (211/9).

(3)تفسير الرازي (354/32)

(4)البحر المحيط في التفسير (568/10)،تفسير سورة المسد،أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية(661ـ 728)،(ص107)،دراسة وتحقيق /عبدالرحمن بن حسن قائد،مكتبة الملك فهد الوطنية،السعودية، ،1436هـ،2015م،ط1

من الحديد خطأ،لأن المسد هو المفتول سواء كان من الحديد،أو من غيره،وقال آخرون:هو قلادة من ودع في عنقها ،وربط الحبل على هذه الصورة تصوير لها بصورة الحطّابة التي تحمل الحزمة، وتربطها في عنقها،تحقيرا لشأنها،أو بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع(1)،وإذا كان هذا جزاؤها في الآخرة وأنها ستكون وسط أهل النار وحبلها من مسد،وسيراه الجميع،ولن يخفي حالها هذا علي أحد،فلقد لقيت نفس الجزاء في الدنيا من جنس عملها،فقد عرفت مصيرها في الدنيا،حيث ماتت مخنوقة بنفس الحبل الذي كانت تحمل به الشوك وتضعه في طريق رسول الله صلي الله عليه وسلم، وهكذا استشرف القرآن الكريم مصيرها في الدنيا والآخرة،فقد كانت تحتطب بحبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فأهلكها،وهو في الآخرة حبل من نار،وقيل: أنها كانت تحتطب بحبل من ليف، فوضعته ليلة على دكان فأتاها جبريل فخنقها بحبل حزمتها فقتلها،فإن قيل: إن كان ذلك حبلها فكيف يبقى في النار؟أجيب: بأنّ الله تعالى قادر على تجدده كلما احترق كما يبقي اللحم والعظم أبداً في النار(2).

وقال الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب،قول من قال:هو حبل جُمع من أنواع مختلفة،ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله(3)،والجيد من محاسن المرأة ،وسمى جيدا من الجودة،وفيه تضع المرأة أجمل ما تتزين به من حلى وجواهر ،والمسد: الليف،أو ما يشبهه،مما تتخذ منه الحبال،وفى تعليق هذا الحبل فى جيد أم جميل،

(1)إعراب القرآن وبيانه(609/10)،السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير شمس الدين،محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي(ت/977هـ)(607/4) ،مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، عام النشر: 1285هـ، التفسير المنير للزحيلي(456/30)، تفسير القرطبي(243/20)،اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت/775هـ)(557/20)،ت/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان،ط1، 1419هـ ،1998م

(2)السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير شمس الدين،محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (608/4)،تفسير القرطبي(241/20)،غرائب التفسير وعجائب التأويل،محمود بن حمزة بن نصر ،أبو القاسم برهان الدين الكرماني ،ويعرف بتاج القراء(ت/ نحو505هـ)،(1405/2)،دار القبلة للثقافة الإسلامية،جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت

(3)تفسير الطبري(682/24).

تصوير بليغ معجز لشناعة هذه المرأة،وفى تشويه خلقها،فما أبشع جيد امرأة كان من شأنه أن يتحلى بعقد من كريم الجواهر ،يشدّ إليه حبل من ليف،إنه إهانة لعزيز ،وإذلال لكريم،وإن الإهانة للعزيز ،والإذلال للكريم،لأقتل للنفس،وأنكى للقلب،من إهانة المهين،وإذلال الذليل! فكلمة جيد هنا مقصودة لذاتها،إنه يراد بها ما لا يراد بلفظ رقبة،أو عنق،إنها تنزل امرأة من عقائل قريش،ومن بيوتاتها المعدودة فيها،لتلقى بها فى عرض الطريق،وهى تحمل على ظهرها حزم الحطب،وتشدها إلى جيدها بحبل من ليف!! ولهذا فزعت المرأة،وولولت حين سمعت هذا الوصف الذي وصفها القرآن الكريم به،فخرجت فى جنون مسعور ، تستعدى قريشا على النبي الذي هجاها– كما تزعم– هذا الهجاء الفاضح،وعرضها عارية على الملأ! وحق للمرأة أن تفزع وأن تجنّ،فلقد كانت هذه الصورة التي رسمها القرآن لها،وعرضها هذا العرض المذل المهين لها،حديث قريش– نسائها ورجالها– ومادة تندرها،ومعابثها،زمنا طويلا،وأكثر من هذا،فإن النظم الذي جاءت عليه السورة الكريمة،قد جاء فى صورة تغرى بأن تكون أغنية يتغنى بها الولدان،ويحدو بها الركبان،ويتناشد بها الرعاة،إنها تصلح أن تكون– فى نظمها– غناء ،أو نشيدا،أو حداء ،ولا نحسب إلا أنها كانت،بعد أيام قليلة من نزولها،نشيدا مرددا فى طرقات مكة،على ألسنة الصبيان،وفى البوادي على أفواه الرعاة،والحداة،وأنها قد أخذت صورا وأشكالا من الأوزان،والأنغام،التي تولدت من نظمها العجيب المعجز(1).

ولفظ زوج وامرأة في الظاهر مترادفتان لكنهما في الاستعمال القرآني ليس كذلك،فلفظة زوج في القرآن تعطينا العلاقة التي فيها النماء والحكمة والمودة وخطابه تعالي لآدم بقوله "اسكنْ أنت وزوجُكَ الجنة"35 البقرة،وقوله"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" الروم21،وقال "وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله" آل عمران15،وقوله "والذين آمنوا وعملوا الصالحات .. لهم فيها أزواج مطهرة " النساء57،وهكذا تكون دلالة لفظة زوج في بقية الآيات(الزخرف70،

(1)التفسير القرآني للقرآن(1708/1707/16).

يس56،الفرقان74) تدل كلها على تلك المودة والعلاقة الرحيمة،وأما لفظة امرأة فالاستعمال القرآني يحملها دلالة لا تطابق لفظة زوج فالمرأة في النص القرآني رمز لعدم المودة والخلاف في العقيدة والخيانة والعقم وشواهدها قوله تعالى "امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً" يوسف30، فاستعمال لفظة امرأة بدلاً من لفظة زوجة؛ لأن امرأة العزيز أرادت خيانة زوجها، وهذا اختلال بين القرينين فمنع استعمال لفظة زوجة واستبدلت بـ امرأة،وقوله " قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه"يوسف51،وقوله "وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً" التحريم10،وقوله تعالى في امرأة فرعون"وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابنِ لي بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله" التحريم 11،فالمرأة في الآيتين اختلفت دلالة موقفيهما الأولى ذكرت في موقف الخيانة لرجل صالح وفي الثانية ذكرت في موقف خلاف في الدين فهي مؤمنة وهو كافر وفي كلا الموقفين جاءت كلمة امرأة لا زوجة،وكذا عندما يكون تعطيل للنماء فهي امرأة كما جاء في نداء زكريا ربه في قوله"وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا" مريم5 وهكذا يكون الاستعمال القرآني للفظة امرأة في بقية الآيات التي وردت فيها،فإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم أو ترمل فامرأة لا زوج فالآيات في امرأة ابراهيم وامرأة عمران(هود 71 والذاريات 29 وآل عمران 35)،وزكريا عندما طلب من ربه في الآية السابقة أن يهب له ولياً يرثه ذكر لفظة "امرأتي عاقراً" في ندائه، وحينما استجاب له ربه وتحققت الحكمة الزوجية ذكرت بلفظة زوج في قوله تعالى "فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه"90 الأنبياء فحينما كانت عاقراً فهي امرأة وحين أصلحت وتحققت الحكمة فهي زوج، فاللفظان إذن غير متطابقين في الدلالة، وهناك فرق في دلالتها يظهر في سياق الاستعمال،ومن جماليات التعبير القرآني في هذه الآية استعمال لفظة امرأته دون لفظة زوجه، ونظيرها في كثير من الآيات القرآنية، ولعل السبب في ذلك أ نَّ التعبير بلفظة الزوجةُ يُشعر بالألفة والمودة التي جعلها الله تعالى في الزوجين، فلما كان عاقبة أمر أم جميل إلى الجحيم لم تُستعمل لفظة الزوجة،فهي كانت فاسدة بجوار

الرجل الفاسد وكانت امرأتا نوح ولوطٍ فاسَدَتْين بجوار، الرجل الصالح، أما امرأة فرعون ؛ فكانت صالحة بجوار الرجل الفاسد،وهذا يعني أنَّ كل اختلال بين القرينين يوحي باستعمال لفظة امرأة بدلاً من زوجة وما أجمل من استعمال! (1).

وفى الإخبار عن أبى لهب وامرأته بأنهم من أهل النار،وفى مواجهتهم بهذا الخبر،ثم موتهم بعد هذا على الكفر فى هذا إعجاز من إعجاز القرآن،الذي ساق أبا لهب وامرأته إلى النار وهما حيان يرزقان،ولو أن أبا لهب آمن بالله ولو حتى عن نفاق، لأقام حجة قاطعة على كذب النبي،وافتراء ما جاء به،لأن النار التي توعدها الله إنما هى لكفره،فلو أعلن الإيمان لما كان لهذا الوعيد حجة عليه،بل كان حجة على القرآن بأنه مفترى،ولكن أنّى يكون هذا،وقد قضى الله بعذابه فى جهنم،ونزل القرآن بالخبر القاطع بهذا؟إنها كلمة واحدة كانت تخرج من فم أبى لهب أو امرأته،بإعلان إسلامهما،فيقضى بها على محمد ودعوته وهذه معجزة متحدية من معجزات القرآن،الذي أمسك لسان الرجل والمرأة عن أن ينطقا بهذه الكلمة،بكلمة الإسلام،في أوضح صورة،وأكملها،وأصرحها،وانظر إلى الإعجاز القرآنى فى وصف امرأة أبى لهب،وسعيها بالفتنة،وإغراء الصدور على النبي صلّى الله عليه وسلّم بأنها حمالة الحطب، فهذا الحطب الذي تحمله،مع مجاورته للهب الذي هو كيان زوجها كله،لا بد أن يشتعل يوما،وقد كان،فأصبح الرجل وزوجه وقودا لنار جهنم، وانظر مرة أخرى إلى هذا الإعجاز فى التفرقة بين أبى لهب وحمالة الحطب،إنه هو الذي أوقد فيها هذه النار،بما تطاير من شرره إلى هذا الحطب الذي تحمله،وهو الذي أوقع بها هذا البلاء،إنها كانت تحمل حطبا،وحسب،وهذا الحطب– وإن كان من وقود النار– إلا أنه قد يسلم منها،لو لم يخالطها، ويعلق بها،وأما وقد خالطها أبو لهب فلا بد أن تشتعل، وتحترق!(2)، ففي

(1)المعرفة اللغوية وتفسير النص القرآني د/ زهير غازي زاهد(ص: 13،14) المصدر :الشاملة الذهبية،بلاغة المفردة القرآنية في سورة المسد،الكلمات المفتاحية(البلاغة. المفردة ـ السورة) دكتور/ رياض عبود إهوين،(ص15)،كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية. مجلة دواة.

(2)التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (1709/1707/16).

هذه السورة معجزة من جهة الخبر بأنهما يموتان جميعاً على الكفر فكان الأمر كذلك،وإنما وصف بهذه الصفة تخسيساً لها وتحقيراً(1).

ومن هنا كانت هَذِهِ السُّورَةِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى النُّبُوَّةِ،فَإِنَّهُ مُنْذُ نَزَلَ قَوْلُهُ" سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"فَأَخْبَرَ عَنْهُمَا بِالشَّقَاءِ وَعَدَمِ الْإِيمَانِ لَمْ يُقَيِّضْ لَهُمَا أَنْ يُؤْمِنَا وَلَا وَاحِدَ مِنْهُمَا لَا باطناً ولا ظاهراً،لا سراً ولا علناً، فَكَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ الْبَاهِرَةِ عَلَى النبوّة الظاهرة(2)،والمعني: وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ أي تحمله حقيقة،فتحمل حزمة الشوك والحسك، وتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،أو تحمل حطب جهنم لأنها تحمل الأوزار بمعاداة الرسول صلّى الله عليه وسلّم،وتحمل زوجها على إيذائه،أو أن التعبير كناية عن النميمة التي توقد الخصومة بين الناس،"فِي جِيدِها" في عنقها،حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ حبل مفتول من ليف،أي مما مسّد أي فتل وربط الحبل على هذه الصورة: تصوير لها بصورة الحطّابة التي تحمل الحزمة،وتربطها في عنقها،تحقيرا لشأنها،أو بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع،وفي جيدها سلسلة من النار ،فحَمَّالَةَ الْحَطَبِ استعارة،أستعير هذا التعبير للنميمة بين الناس،وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ منصوب على الذم،أي أخص بالذم حمالة الحطب،والمعني:أي وستعذب أيضا بهذه النار امرأته جزاء لها على ما كانت تجترحه من السعى بالنميمة إطفاء لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم (3)،فإن من كانت امرأته مصورة بصورة حطابة على ظهرها حزمة حطب معلق حبلها في جيدها فهو في غاية الحقارة ،والتباب والخساسة والخسارة.

إن "حمالة الحطب" تمثل نموذجًا حيًا للزوجة الشريرة في مجتمعاتنا،،فلا بد إذن من وجوب اختيار المسلم للزوجة الصالحة،فإن خطر منزلة النساء لما يجلبن على الرجال من السعادة والشقاوة،ذلك أن خصالهن تسري وتدب في أزواجهن وأولادهن، ثم إن من أخلاق النساء ما يتعدى شره إلي أخلاق أزواجهن، بسبب إفراطهن في الشح وحب

(1) تفسير ابن فورك تفسير ،(296/3).
(2)مختصرتفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني،(690/2).
(3)تفسير المراغي (262/30).

التزين،وذلك يحملهم على أن يكسبوا لهن المال في أي وجه كان ولا ينفقوه في الحقوق والنوائب، ويدفعهم هذا الأمر إلى أن يجعلوا المال الذي هو قيام الحياة معكوفاً على أجسامهن(1)

لذا،يجب أن نعي أهمية هذا الاختيار،ونسعى جميعًا نحو بناء علاقات قائمة على القيم الصالحة والمبادئ السليمة.

ولم يقتصر استشراف آفاق المستقبل لأبي لهب وزوجته على كلمات السورة فقط، بل تجلى أيضًا في حروفها وأصواتها وإيقاعها،وجاء التفاوت الواضح بين الأصوات متناسبًا مع موضوع السورة، حيث تزايد الجهر عندما أظهر أبو لهب وامرأته معصيتهما ضد النبي صلى الله عليه وسلم، كما برزت مواضع الشدة عند الحديث عن لهب نار جهنم التي سيتعرضان لها في الآخرة،هذا التنوع الصوتي في فواصل السورة عبّر بوضوح عن مصيرهما،مما ساهم في تأكيد أن الجزاءمن جنس العمل، كما استشرفه القرآن الكريم. فالفاصلة عنصر ضروري في إيقاع السورة، ولأن وجودها يُحدث انسجام في السورة،فقد ورد الوقف بالباء في كل آيات السورة ما عدا الآية الأخيرة،وفي هذا تحقيق الانسجام الموسيقي للسورة،وكما أن لتكرار صوت الباء أثر من حيث أنه يتميز بالقوة والشدة، فهو من الأصوات المجهورة ومن أصوات القلقلة التي انسجمت مع مواضيع السورة ،والمتمثلة في شدة غضب الله سبحانه وتعالي من أبي جهل وامراته بسبب إيذائهم للنبي صلى الله عليه وسلم فكان العقاب والعذاب الذي سلطه الله تعالي عليهم أشد وأقوي،فعبر هذا الصوت عن شدة لهب نار جهنم هذا من جهة،ومن جهة أخري عبر لنا عن شدة ربط عنق أم جميل بالحبل أو بسلسال من حديد(2)،وجاءت الفواصل منتهية بأصوات قوية شديدة ومجهورة ومقلقلة،تحكي شدة الغضب على أبي لهب وامرأته، لما عاملا به رسول الله من القسوة، فقد كانا أشد الناس عليه، وكانا يكذبانه ويؤذيانه ،وكانت زوجة أبي لهب ترمي بالأشواك في طريقه وكان أبو لهب يسير خلفه

(1)منهج القصة القرآنية في تثبيت قيم الأسرة، سورة المسد أنموذجا،دكتور/ محمد حراز(ص117).

(2)دراسة صوتية في فرائد القصص القرآني قصة أبي لهب نموذجا، هاجر بلخيري(ص133)، وداد زيداني،مجلة الصوتيات، المجلد 18/ العدد رقم 2 جمادى أولي1444هـ/ ديسمبر 2022م

في الأسواق فكلما دعا قوما إلى الإسلام قام بعده يكذبه، إلى غير ذلك من ألوان الأذى،وقد جاءت المقاطع مغلقة توحي بانغلاق الأمل في وجه أبي لهب وامرأته،فما لهما من أمل في عفو أو نجاة، كما تدل على انغلاق قلبيهما عن الهدى(1)،ومن أجال النظر في آيات السورة لوجد أن نبرة التهديد والغضب والعنفوان واضحة المعالم في المفردات، وفي قصر الجمل، ففي قوله عزّ وجلّ"تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ" تمثّل المفردات صرخة عنيفة بأصواتها،ويجد مظاهر الجزالة في تعدّد الباءات، فالباء حرف شفوي انفجاري، ويزيده عنفا كونه مشدّدا أو ساكنا بالتنوين والسكون،أو مشددا ساكنا مقلقلا قلقلة كبرى(2).

وحاصل هذه السورة أن أبا لهب قطع رحمه وجارعن قصد السبيل واجتهد بعد ضلاله في إضلال غيره،وظلم الناصح له الرؤوف به الذي لم يأل جهداً في نصحه على ما تراه من أنه لم يأل هو جهداً في أذاه واعتمد على ماله وأكسابه فهلك وأهلك امرأته معه ومن تبعه من أولاده(3).

وخلاصة ما سلف– خسر أبو لهب وضل عمله،وبطل سعيه الذي كان يسعاه للصد عن دين الله، ولم يغن عنه ماله الذي كان يتباهى به،ولا جدّه واجتهاده فى ذلك، فإن الله أعلى كلمة رسوله،ونشر دعوته، وأذاع ذكره،وأنه سيعذب يوم القيامة بنار ذات شرر ولهيب، وإحراق شديد،أعدها الله لمثله من الكفار المعاندين،فوق تعذيبه فى الدنيا بإبطال سعيه، ودحض عمله وستعذب معه امرأته التي كانت تعاونه على كفره وجحده، وكانت عضده فى مشاكسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيذائه، وكانت تمشى بالنميمة للإفساد،وإيقاد نار الفتنة والعداوة.

ونلاحظ أن أحداث القصة وشخصياتها وردت في هذه السورة فقط ،ولم تتكرر في سورة أخرى من سور القرآن الكريم ولعل هذه الطبيعة الفنية في سورة أبي لهب منسجمة مع

(1)الفاصلة في الجزء الأخير من القرآن الكريم _ دراسة صوتية دلالية، عبد الكريم حاقة ،(ص37)،كلية الآداب واللغات،جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ الجزائر 1430/1429هـ ـ 2009/2008م

(2)جماليات المفردة القرآنية أحمد ياسوف(ص194)،دار المكتبى، دمشق،ط2، 1419هـ ،1999م

(3)نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (574/8)

الوظيفة التبليغية التي أراد الخطاب القرآني أن يوصلها إلي عموم المخاطبين، وإلي أفراد أسرة أبي لهب بصفة خاصة ،فقد حسم القرآن في أمر هولاء المجرمين،وقطع دابرهم،وبيّن سوء مصيرهم،عبرة لكل قارئ للقرآن، فلا داعي لتكرير هذه القصة في موطن آخر من القرآن الكريم، ونلاحظ ان الزمن السردي في السورة قد امتد من الزمن الماضي "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ"،مرورا بالزمن الحاضر في وصف زوجته بكونها وقتئذ حمالة الحطب ،وصولا إلي زمن المستقبل عن طريق توظيف تقنية الاستباق السردي للزمن، وذلك بالإشارة إلي عذاب أبي لهب في النار مع زوجته" سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ" وهذا الزمن الممتد من لحظة وقوع أحداث هذه القصة إلي يوم القيامة،إنما يدل على استمرارية نماذج هذه الشخصيات الكافرة ودوام أمثالها في وجه الدعوة الإسلامية علي مدار الزمن كله،وبالنسبة للمكان المذكور في هذه السورة، فلا تجد سوى جهنم بنارها الملتهبة التي سيصلاها أبو لهب مع زوجته،فكأن ذلك إشارة إلي أن هولاء المجرمين وأمثالهم لا مكان لهم بتاتا غير قاع جهنم بعد الموت(1)

فهذا نموذج من نماذج كيد أبي لهب للدعوة وللرسول صلى الله عليه وسلم،وكانت زوجته أم جميل في عونه في هذه الحملة الدائبة الظالمة،وقد تحدثت عن هلاكه وزوجته،وقد توعدتهما السورة في الآخرة بنار موقدة،وما حدث لأبي لهب وامرأته ليس بعجيب ولا غريب ولا بعيد أن يحدث لغيرهم،فهذا درس جليل ينبغي أن نعيه ونلتفت إليه،ونفهمه ونقف عليه ونتدبره، فالجزاء من جنس العمل" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"الزلزلة 7،8،فجاءت هذه الآيات تستشرف مستقبل أبي لهب وامرأته،وما سيحل بهما، فكما سّب النبي صلي الله عليه وسلم علناً وأمام الجميع،سيظل لعنه علناً على رؤوس الأشهاد إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(1)منهج القصة القرآنية في تثبيت قيم الأسرة، سورة المسد أنموذجا،دكتور/ محمد حراز، (ص،123/122)، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان،المغرب،مجلة العلوم الانسانية والحضارية،جامعة الأغواط ،عدد رقم1 ،2020م.

الخاتمة وتشمل أهم النتائج

إن استشراف المستقبل يعد نظرة إيجابية للحياة والكون، ويحمل على بعث الأمل في النفوس،وشحذ العزائم،والأخذ بأسباب الحيطة والحذر،وإحياء رسوم الدين وتجديده، وتحقيق النجاح والانتصارات،وهو منهج ناجح لإيجاد الحلول الصائبة لمشاكل المسلمين في العصر الراهن،وذلك من خلال معرفة مواطن الفتن،وتوخي الحذر منها،ومواجهتها بالإصلاح،وحسن التدبير،واستشراف المستقبل والتخطيط له أصبح في عالم اليوم من الضروريات؛لأنّ العالم لا يستمدّ قوته من عضلاته المفتولة ولا من قدر الحديد الذي يملكه؛ لكنّه يستمدّ قوّته بالدّرجة الأولى من قوّة استشرافه للمستقبل والتخطيط له،وبعد النظر،واستحضار النظرة المستقبلية للأمور في ضوء الشريعة الغراء،والسورة تتضمن دلالات قوية على استشراف المستقبل،وتعطي دفعة معنوية كبيرة من خلال الإشارة إلى مصير أبي لهب وزوجته،وتُعزز الثقة في النصر الإلهي،ومن خلالها يُدعى المؤمنون إلى استشراف مستقبلهم بناءً على التمسك بالحق،مع العلم بأن ما يُزرع اليوم سيُحصد غدًا

وقد خلص البحث لبعض النتائج منها .

ـ أهمية استشراف المستقبل لوضع الخطة التي تسير عليها الأمة الإسلامية لتحقيق المطلوب منها،وذلك للتلازم بين استشراف المستقبل وسنّ الأنظمة،وأن يكون العمل وفق السنن الكونية،والتوصية بالتلازم بين العمل الجاد المتقن وبين الإيمان بالقدر،وذلك وفق ما شرع الله تعالي سواء تحققت النتائج أو لم تتحقق،والابتعاد عن الابتداع في الدين، ودراسة الماضي لأخذ العبرة منه والتعرف على الواقع والتخطيط للمستقبل.

ـ إظهار حقيقة إعجاز النبوة،فالسورة الكريمة أنبأت عن مستقبل أبي لهب وامرأته وأنهم لن يؤمنوا وأن جزاؤهم جهنم وبئس المصير.

ـ السورة بمثابة تحذير وتهديد لأهل مكة،لاسيما قريش الذين اصبحوا يتجنبون أذي النبي صلي الله عليه وسلم مخافة أن تنزل سورة باسم أحدهم.

ـ خوف أبي لهب من الدين الجديد ليس له مبرر،وسبب معارضته لهذا الدين المساواة بين البشر التي أقرها الله تعالي في رسالته السماوية أو خوف من الحقيقة الحتمية وهي

الموت ،وهذا لا يُعد خوف وإنما ضعف لأن الموت آت لا محال فهو حقيقة وجدت منذ الأزل.

ـ بيان أن التكبر والثروة في الدنيا ما هما إلا خزي في الآخرة،وأن العمل الصالح هو من ينجي الانسان وليس نسبه،وفي هذا اعلان البراءة من الفسدة ونبذهم من المجتمع من أجل احلال العدل والأمان.

المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم جل من أنزله.

كتب التفسير

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(ت/1393هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415 هـ - 1995مـ

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(المتوفى: 982هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت

ـ التفسير البسيط أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت/468هـ)،ت/أصل تحقيقه في 15 رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه، وتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430.

ـ التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي(ت/606هـ)،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

ـ التفسير الميسر نخبة من أساتذة التفسير،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية،ط2،مزيدة ومنقحة، 1430هـ، 2009م

ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،ط1(1393هـ، 1973م)(1414هـ، 1993م)

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي (ت/911هـ)،دار الفكر،بيروت

ـ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي(ت/977هـ)،مطبعة بولاق(الأميرية)،القاهرة، عام 1285هـ

ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل محمود بن حمزة بن نصر،أبو القاسم برهان الدين الكرماني(ت/نحو505هـ)،دار القبلة للثقافة الإسلامية،جدة،مؤسسة علوم القرآن،بيروت
ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جارالله(ت/538هـ)،دار الكتاب العربي،بيروت، ط3، 1407هـ.
ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت/710هـ)،حققه وخرج أحاديثه/يوسف على بديوي،راجعه وقدم له،محيي الدين ديب مستو،دار الكلم الطيب،بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م.
ـ مختصر تفسير ابن كثير (اختصار وتحقيق) محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط7، 1402هـ، 1981م
ـ تأويلات أهل السنة محمد بن محمد بن محمود،أبو منصور الماتريدي (ت/333هـ) ت/دمجدي باسلوم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1، 1426هـ 2005م
ـ تفسير ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت/774هـ)،ت/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ
ـ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة د/هاشم محمد على بن حسين مهدي،دار طوق النجاة،بيروت،لبنان، ط1، 1421هـ، 2001م.
ـ تفسير الشعراوي الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت/1418هـ)،مطابع أخبار اليوم
ـ تفسير السمعاني أبو المظفر،منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت/489هـ)،ت/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم،دار الوطن،الرياض،السعودية، ط1، 1418هـ، 1997م.
ـ تفسير القرآن الحكيم محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني الحسيني(ت/135هـ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر 1990م

ـ التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري(ت/1414هـ)،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،ط1، 1405هـ، 1985م
ـ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت/1393هـ)،الدار التونسية للنشر،تونس، سنة 198هـ
ـ البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت/745هـ)،ت/صدقي محمد جميل،دار الفكر،بيروت،الطبعة: 1420هـ
ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي(ت/1224هـ)،ت/أحمد عبد الله القرشي رسلان، د/ حسن عباس زكي،القاهرة، 1419 هـ
ـ التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب(ت/ بعد1390هـ)،دار الفكر العربي، القاهرة
ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج دوحة بن مصطفى الزحيلي،دار الفكر المعاصر،دمشق، ط2 1418هـ
ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د/ محمد سيد طنطاوي،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،الفجالة – القاهرة،الطبعة:الأولى
ـ التفسير الميسر نخبة من أساتذة التفسير،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية،ط2،مزيدة ومنقحة، 1430هـ، 2009م
ـ تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت/150هـ)،ت/عبد الله محمود شحاته،دار إحياء التراث،بيروت،ط1 ،1423هـ

كتب علوم القرآن الكريم:

ـ البرهان في تناسب سور القرآن أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي،أبو جعفر (ت/708هـ) ت/محمد شعباني،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،1410هـ-1990م

ـــ الإتقـــان فـــي علـــوم القـــرآن عبـــد الـــرحمن بـــن أبـــي بكـــر ،جلال الـــدين السيوطي(ت/911هـ)،ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط 1394هـ/ 1974م

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت/ 817هـ)ت/ محمد على النجار،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة

ـ جماليات المفردة القرآنية أحمد ياسوف،دار المكتبى،دمشق، ط2، 1419هـ ، 1999م

ـ لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت/741هـ)، تصحيح:محمد على شاهين،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1415 هـ

ـ السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل عماد عبد الكريم خصاونة، خضر إبراهيم قزق، المصدر: الشاملة الذهبية

ـ فتح البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن على ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي(ت/1307هـ)، عُني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، عام النشر: 1412 هـ 1992م

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي(ت/ 885هـ)،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

كتب الحديث

ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،ت/محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)ط1، 1422هـ.

ـ السنن الكبرى أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني،أبو بكر البيهقي(ت/458هـ)،ت/محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنات، ط3، 1424هـ، 2003م.

ـ شرح صحيح مسلم حسن أبو الأشبال، بترقيم الشاملة آليًا.

ـ شرح مصابيح السنة للإمام البغوي محمد بن عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز الرومي الكرماني،والحنفي المشهور بابن الملك،ت،ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب،إدارة الثقافة الإسلامية،ط1، 1433هـ، 2012م.

ـ سنن ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت/273 هـ)،(116/5)،بشار عواد معروف،دار الجيل، ط1، 1418هـ، 1998م.

ـ سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت/279هـ)،ت/ أحمد محمد شاكر(جـ1،2)،ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ3)،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف(ج4،5)شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ،ط2، 1395هـ، 1975م.

ـ المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت/405 هـ)، دار التأصيل، ط الأولى، 1435هـ، 2014م.

ـ تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي،ت/ لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، 1443هـ، 2012م.

ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن على بن محمد الجوزي، ت/على حسين البواب،دار الوطن، الرياض.

ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت/261هـ)، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت/241هـ)،ت/ شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون،إشراف:د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م

كتب اللغة

ـ إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد درويش(ت/1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص،سورية،دار اليمامة،دمشق،بيروت،دار ابن كثير،دمشق،بيروت،ط4، 1415هـ.

ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت/393هـ)،ت/ أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،بيروت،ط4، 1407هـ، 1987م.

ـ مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت/395هـ)، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر 1399هـ، 1979م.

ـ لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت/711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

كتب ابن القيم

ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت/751هـ)،ت/محمد حامد الفقي مكتبة المعارف، الرياض،السعودية

كتب التاريخ

ـ تاريخ نزول القرآن محمد رأفت سعيد،دارالوفاء،المنصورة،مصر،ط1، 1422هـ، 2002م

ـ مقدمة ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد بن خلدون،،دار الكتب العلمية،بيروت،2000م ،ط8

الرسائل العلمية

ـ الاستشراف المستقبلي في القرآن محمود أحمد عبدالسلام، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام أباد، باكستان، 2003م.

ـ استشراف المستقبل من منظور اسلامي خضر إبراهيم أسعد قزق،ماجستير 2008م،د/ أحمد نوفل،الجامعة الأردنية،كلية الدراسات الفقهية والقانونية،جامعة آل البيت، قسم أصول الدين، فرع التفسير.

ـ استشراف المستقبل في القرآن والسنة فهمي إسلام جيوانتو، رسالة ماجستير في اللغة العربية، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإيمان، اليمن، 2004م.

ـ مفهوم استشراف المستقبل دراسة عقدية رسالة ماجستير، إعداد/ ريم بنت إبراهيم الخضير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، 1434-1435هـ.

ـ عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم،الكتاب رسالة دكتوراه ناصر بن على عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد،الرياض،السعودية،ط3، 142هـ،2000

ـ الفاصلة في الجزء الأخير من القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية عبد الكريم حاقة، كلية الآداب واللغات،جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر، 1430/1429هـ، 2009/2008

الجوامع والمجلات ونحوها

ـ خصائص البيان القرآني في سورة المسد مراجعات في المنهج والبيان،ا.د/ محمود توفيق محمد سعد،مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية،العدد الحادي والعشرون،جمادى الآخرة 1437هـ.

ـ بلاغة المفردة القرأنية في سورة المسد،الكلمات المفتاحية(البلاغة. المفردة ـ السورة) دكتور/ رياض عبود إهوين، كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية. مجلة دواة.

ـ الدراسات الاستشرافية: النماذج والتقنيات عامر مصباح،المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2016

ـ استشراف المستقبل في الإسلام بين الطرق المشروعة والطرق الممنوعة سيف الدين شاعة،جامعة ابن خلدون،الجزائر ،مجلة الإبراهيمي للأداب والعلوم الإنسانية،ج 6،العدد2

ـ نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية د. حاتم فزع شنير،كلية الآداب، الجامعة العراقية،مجلة مداد الآداب، العدد 5

ـ دراسة صوتية في فرائد القصص القرآني: قصة أبي لهب نموذجاً هاجر بلخيري، وداد زيداني،مجلة الصوتيات، المجلد 18، العدد 2، جمادى أولى 1444هـ / ديسمبر 2022م

ـ الجزاء من جنس العمل من خلال سورة المسد على بن عبدالله السكاكر،مجلة تدبر، ج3

ـ أرشيف منتدى الألوكة تم تحميله في: المحرم 1432 هـ = ديسمبر 2010 م
رابط الموقع: http://majles.alukah.net